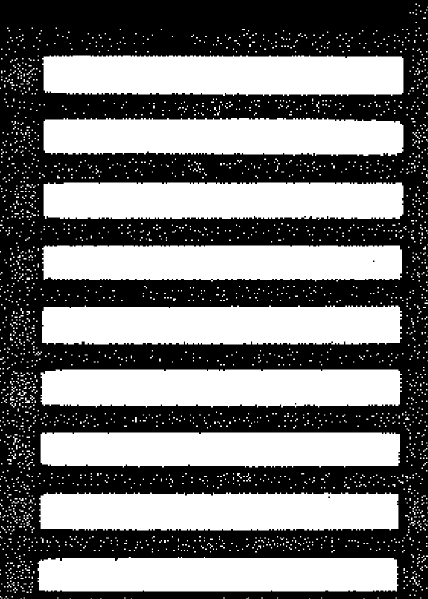
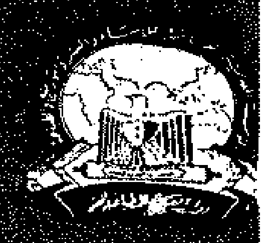
كتاب اليوم

عملاق

من بني مر



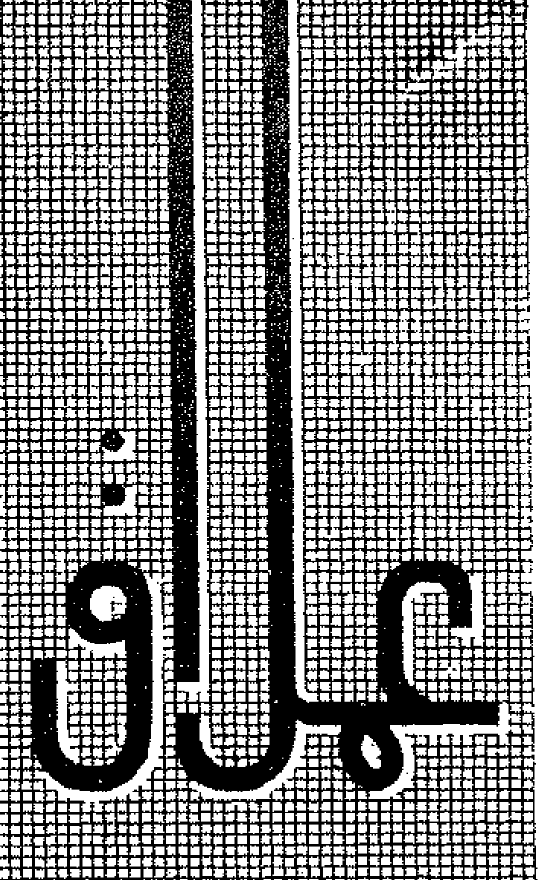


اهداءات ٢٠٠١

المرحوم/ محمد راغب عباس

وكيل وزارة الثقافة سابقا

كتب قومية



عملاق من بني مر

بقلم: سليمان مظهر

تقـــديم

عندما صدر هذا الكتاب لأول مرة فى عيد الثورة العاشر ، يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٢ ، كنا فى مصر نقف فوق قمة رائعة ، كبيرة ، عملاقة ، ونحن نطل خلفنا الى سنوات عشرة مضت ، صنعنا فيها ما يشبه المعجزة ، تحت قيادة العملاق الثائر .. على طريق الحرية والاشتراكية والوحدة

ولكننا ـ مع ذلك ـ كنا ندرك جيدا أن هناك قوى رهيبة لا تزال تعمل فى الخفاء .. تلقى السموم فى مائدتنا .. وتغرس الشوك على أرضنا .. وتحاول بكل ما تستطيع من جهد أن تسد من أمام شعبنا العربى الكبير كل معالم الطريق ..

وكان العملاق الثائر يمضى بنا فى الطريق .. يزيل الأشواك ، ويحطم السدود .. فى نفس الوقت الذى يواصل فيه اقامة المستقبل الرائع لكل الشعب ..

ومع هذا ، فقد كانت الرجعية والاستعمار لايزالان يعملان جهدهما من أجل أن تتراكم ظلمات التضليل فوق سماوات الوطن العربى الكبير ...

كانا يستغلان ـ بكل طاقاتهما ـ نكسة الانفصال التى لم يكن قد مضى عليها سوى بضعة شهور ، وراحا يجمعان معهما كل أعداء الأمة العربية ليصنعوا مأتما شامتا للوحدة ، ينفذان من خلاله الى تحطيم كل معنويات هذا الشعب .

وكانت صورة الاعداء تبدو أمامنا واضحة جلية ..

المستعمرون يهللون لمؤامرة الانفصال ويعلنون طربهم لنجاحها ومضيها على الطريق ...

واسرائيل تواصل رقصاتها من فرط النشوة ، وهى تزيح عن صدرها عبئا ثقيلا كانت ترزح تحته منذ فرض الشعب العربى فى سوريا ومصر وحدة البلدين فى جمهورية عربية متحدة ..

وقصور الرجعية العربية تضىء وقد فتحت نوافذها لتتنسم الهواء بعد طول احتباس ..

ففى الرياض .. رفعت الرجعية السعودية أنفها تيها وعجبا وهى تنثر الذهب على من يواصل الطريق ، كما نثرته من قبل على من قاموا بقطع الطريق ..

وفى عمان .. ظل حسين بن طلال يحجل كالغراب أمام أنطوانيت جاردنر وهو يعوى من فرط ماهزه الطرب والسرور والارتياح ..

وفى تعز .. جمع الامام أحمد جواريه وغلمانه وانطلق يتلو عليهم اشعاره ويترنم باهاجيه فى الحرية والاشتراكية والوحدة ...

وفى بغداد كان الزعيم الأوحد يزعق بتصريحات هستيرية محمومة معلنا تأييده للانفصال وتدعيمه للانفصاليين بالمال والســـلاح والمهج والأرواح .. !

وبرغم كل ذلك .. كانت القافلة تسير ... تحت قيادة العملاق الثائر .. وهى لا تلقى بالا من حولها الى عواء الكلاب ...

وصدر هذا الكتــاب فى أول طبعــاته يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٢ .. والعملاق يقف شامخا كالطود على القمة الرائعة ...

وكان القدر يرسم فى ذلك التاريخ خطوطا جديدة متينة ثابتة .. كانت نقطة تحول هائلة لانتصارات الأمة العربية الخالدة ...

فمنذ ذلك التاريخ ، حتى اليوم ، حدثت أشياء كثيرة خطيرة ، تمت كلها فى اقل من ثمانية شهور ، هى قليلة جدا فى عمر الدهر ، كبيرة جدا فى تاريخ شرقنا العربى ..

فى مصر .. ظلت القافلة تسير ، تحت قيادة الربان الرائد الذى عرف جيدا كيف يمضى فى طريق الأمواج فلا تهتز به السفينة .. فى الوقت الذى تستطيع هى بين كل لحظة وأخرى كسر كل موجة مهمــا كانت عاتية .. وتحطيم كل زحف مجنون يقســوم به لصوص الحرية ، وقراصنة الاستعمار .. وطوال الطريق .. ظل الربان العملاق يرسل أضواءه الكشافة لتنير السبيل أمام كل الأحرار ... ولتكشف الأستار عن كل الذين يحاولون العمل من خلال الظلمات ...

وفتحت شعوب الأمة العربية عينيها جيدا على الطريق ... وبدأت أسوار الخيانة الشامخة تنهار ...

فى الجزائر ... انتصر المد الثورى العربى على الطغيان الفرنسى .. وانتفضت الجزائر العربية المتحررة لتكون منطلق الأحداث الكبرى التى تحركت فى الوطن العربى كله من أجل التحرر والوحدة والبناء الاجتماعى الاشتراكى .

وفى اليمن .. كانت ثورة الشعب الذى طالما عملوا من أجل أن يجعلوا منه أسطورة للجهل والظلام .. فاذا به فى انتفاضته يعبر عن الروح الثورية فى الشعب العربى .. الروح التى لا يمكن أن تؤثر فيها انحرافات أو انتكاسات مؤقتة . سرعان ما يجرفها المد الثورى الكبير الذى لا يتوقف عن المسير ..

وفى العراق .. تحطم الطغيان الفاشى الأحمــر ، تحت ضربات الأحرار الذين خرجوا فى ١٤ رمضان يردون النســور الى ١٤ تموز ..

ويضعون العراق من جديد على الطريق الصحيح المؤدى الى الالتقاء بالاخوة العرب فى الاهداف الكبرى للامة العربية كلها ..

وفى سوريا ٠٠ كانت الانتفاضة الجديدة للشعب البطل ٠٠ الشعب الذى لم يحن رأسه لحظة منذ نكسة الانفصال برغم ما تكاثر عليه من المتآمرين والانفصاليين والقتلة ٠٠ فاذا به ينهض ليطيح بكل رءوس الخيانة ٠٠ ويسقط من حساب تاريخه الخالد عاما ونصف عام لم يعد يعترف بهما على الاطلاق ٠

وعلى مسير الأيام كانت أشياء كثيرة أخرى تحدث فى السعودية والأردن ٠٠٠

فهناك ٠٠ بدأ الدوى الصاخب يتحول الى مثل هدير البركان ٠٠ ليؤكد للرجعية الطاغية العميلة أنها لن تستطيع الوقوف لحظة واحدة فى وجه حتمية التاريخ ٠٠ برغم كل اندفاعاتها المجنونة فى محاولتها اليائسة لشد عجلة التاريخ الى الوراء أو زحزحته عن طريقه المحتوم ٠٠٠ وليؤكد لها أن التاريخ لا يغير مجراه ولا ينحرف عن مرماه ٠٠ بل هو فى مسيره لابد وأن يجرف قصور الرجعية أمامه ٠٠ ويحطم أعداء البشرية من الطغاة والعملاء ٠٠٠ وأن المد الرجعى الذى بلغ مداه الأقصى عند حادث الانفصال ، قد انحسر الى جزر مروع فوجئت به الرجعية والاستعمار لأنه جاء على عكس النتائج التى رتبوها على المقدمات التى صنعوها باحكام ..

وهكذا مضت الايام تسطر خطوطا جديدة للتاريخ الجديد فى أقل من ثمانية شهور ٠٠٠

***

ولكن هل كان معنى هذا أن الأيام كانت تمشى على الطريق بأسرع مما توقعه العملاق ٠٠ عبد الناصر ٠٠

أبدا .. لم يكن شىء من ذلك قط .. فكل هذا الذى كتبه التاريخ الجديد قاله عبد الناصر .. وتوقعه .. وعمل من أجله .. وهو يطل الى المستقبل القريب ٠٠٠

من أجل ذلك ٠٠ لم يكن هناك قط ما يدعو ـ عند اعادة طبع هذا الكتاب ـ لتغيير أى كلمة جاءت على صفحاته التى كتبت قبل ٢٣ يوليو ١٩٦٢ ٠٠ فحتى الأحداث التى تحول معها مجرى التاريخ فى الوطن العربى ٠٠ هى نفسها التى جاءت على صفحات الكتاب ٠٠ وتوقعها ـ كما قلت ـ عملاقنا العربى الثائر ٠٠ فبدت واضحة من خلال كلماته الرائدة ومواقفه التى ناقشتها هذه الصفحات ٠٠

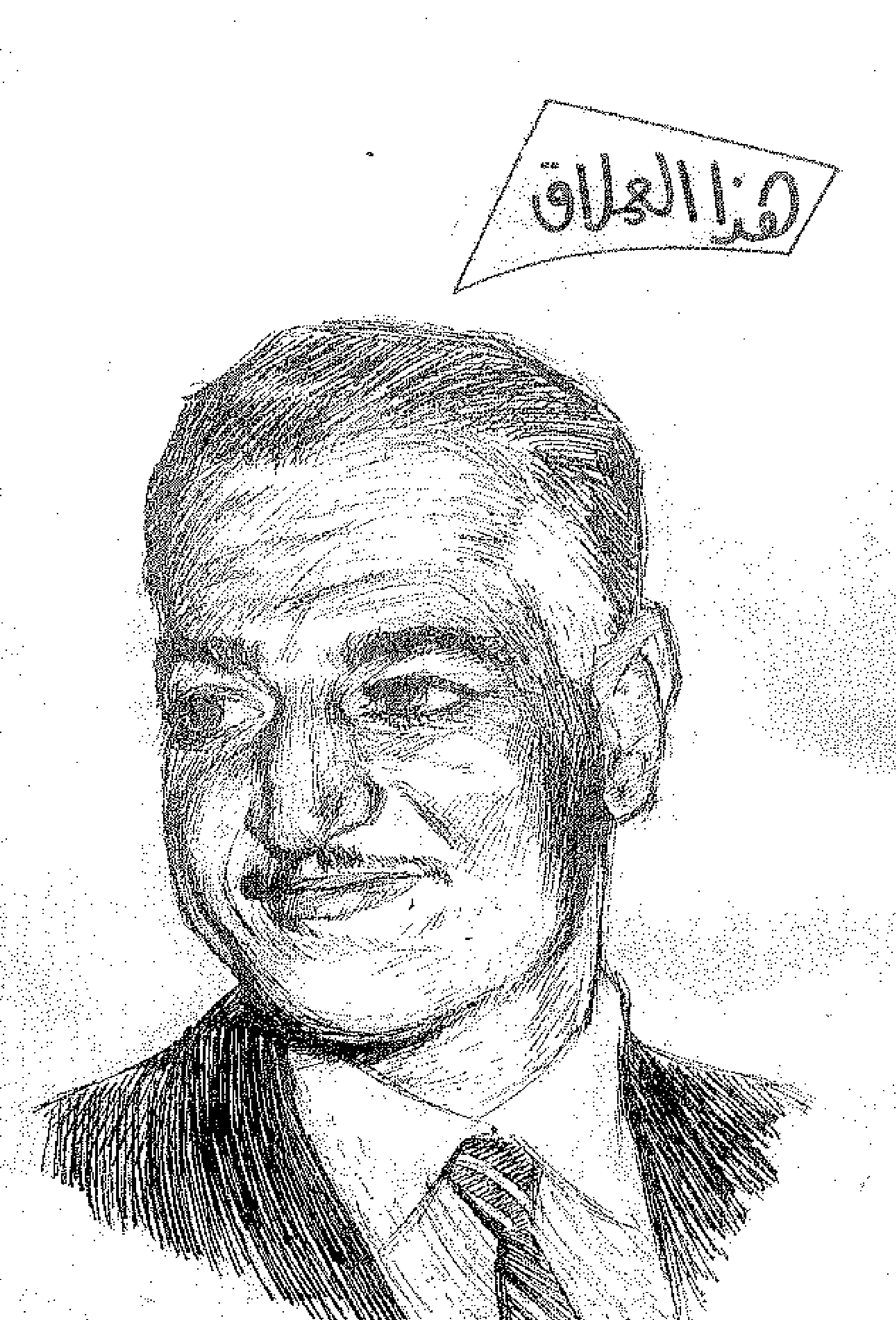
وبعـــــد ..

لقد انهار الاستعمار والرجعية فى الجزائر .. وفى اليمن .. وفى العراق .. وفى سوريا .. وأحيط بهما فى الرياض وعمان ...

وستمضى بقية الشعوب العربية فى هديرها ضد الطغيان والرجعية والاستعمار .. ونصب عينيها صورة العملاق .. الثائر .. الذى جعلته رمزا لكل آمالها .. وأمانيها .. من أجل عالم عربى واحد عظيم .

أبريل ١٩٦٣

سليمان مظهر


هذا العملاق

عندما استيقظ شـــعبنا فى صبيحة ٢٣ يوليو ســـنة ١٩٥٢ كانت كلماته الاولى وهو يرى طلائع الثورة ، عن البطل الذى قاد هـــذه الثورة الفدائية العاصفة التى فاجأت أعداءها كما فاجأت أصـــدقاءها ، فاجأت الاقطاعيين وأسرة محمد على والمستعمرين ، كما فاجأت الملايين من أبنـــاء شعبنا حين ذاك .

لماذا فوجىء الجميع ؟

لان أعداء الشعب كانوا فى أوج قوتهم ، يحكمون البلاد بالحـــديد والنار وحظر التجول . ولأن الشعب كان بلا قيادة سياسية حقيقية .

لقـــد تفسخت مؤسســـساته السياسية الحـــزبية التى قادته فى انتفاضات سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٣٥ وما بينهما من معـــارك ضـــد الملك والاستعمار ..

وفى ليلة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان الشعب يقف وحـــده ، وكان زعماء أكبر أحزابه يصطافون فى أوربا ، وفجأة استيقظ الشـــعب فوجد ان طليعته الثورية قد نزلت الى الشارع وأعلنت الثورة ثم خلعت الملك ، وضربت الاقطاع .

والبطل الذى قاد هـــذه الثورة ظل بعيدا عن الاضـــواء لسبب بسيط ، هو من صميم طبيعة هذا البطل الذى صنع الثورة وقادها .

ففى صميم طبيعة هذا البطل فدائية لا تبحث عن جائزة لأعمـــالها الفدائية .

وعندما أبرزت التطورات الثورية بطل الثورة على رأس الصفوف ، ظل البطل محتفظا بطبيعته الاصيلة : فدائيـــا ، يفـــدى شـــعبه ووطنه ، ولا يبحث عن جائزة للفداء .

هذه الروح الثورية الجوهرية فى كيان جمال عبد الناصر ، هى التى وجهت الاحداث خلال الاعوام العشرة المـــاضية ، بحيث ننظـــر الآن الى الشوط الذى قطعناه تحت قيادته ، وكأننا ننظر من قمة جبل شاهق الى سفح سحيق !

والذى نراه من القمة التى ننظر الآن من فوقها ، لا يمكن أن نصدقه الا اذا تذكرنا دائما طبيعة الرائد الذى زحف بنا من السفح الى القمة ، وقادنا عبر المسالك الوعرة ، وتخطى بنا الاشواك والعقبات ، ورسم لنا الخطط الناجحة للصعود المستمر ، الصعود بلا انقطاع من سفح اليأس والجمود ، الى قمة الامل العريض والحركة الوثابة التى يهتز هديرها الدنيا كلها .

ورحلتنا وراء عملاق بنى مر خلال السنوات العشر الماضية ، كانت رحلة فى طريق تكتنفه ظلمات المجهول ، ولم يكن الطريق معروف المعالم حتى للرائد البطل نفسه ، ولكنه كان مؤمنا بأننا لا بد أن نسير فى هذا الطريق ، لأنه البديل الوحيد لطريق اليأس والخيبة والدمار الذى كان المستعمر وأذنابه يقسرون شعبنا على السير فيه .

والآن لم يعد سرا ان « جمال عبد الناصر » عندما قاد الثورة فى فجر ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ كان يفكر فقط فى وجوب قيام الثورة كرد شعبى ثورى على الطغيان والاستعمار والاقطاع .

ان طبيعة عبد الناصر كفدائى ثائر ، فتحت له باب الثورة ، فاندفع فيه مع رفاقه الباسلين ، ليعلن ارادة الشعب فى الثورة على أعدائه .

ولكن تفجير الثورة هو الخطوة الاولى ، فماذا تكون الخطوة الثانية ؟

هذا هو السؤال الذى طرحته الاحداث الثورية على قائد ثورة ٢٣ يوليو .

وكان لا بد له من الاجابة عنه ، لان الثورة ليست خلع نظام واحلال نظام آخر فى مكانه ، ليست الثورة انقلابا ، بل تعبيرا عميقا عن ارادة الشعب الثورية ورغبته التاريخية فى تحويل طريقة حياته ، والتخلص من الآفات الاجتماعية والسياسية وغيرها من الآفات التى توارثتها أجياله المتعاقبة ألوف السنين !

وبالطبيعة الفدائية نفسها ، أقبل جمال عبد الناصر على واجبه الجديد بعد قيام الثورة .

لم يعد زهده فى الاضواء هو المحور الذى يمكن أن تدور حوله الثورة لتنجح ، لان كل أضواء الثورة ستتعرض للانطفاء اذا تخلى عنها بطلها الذى انبعثت منه شرارة الضوء .

وعندما جلس عبد الناصر فى كرسى الحكم ، لم يكن حاكما ، بل كان هو نفسه الفدائى الذى اقتضته واجباته كفدائى أن يجلس على هذا الكرسى .

ثم انقضت عشر سنوات ، ولم يعد احد يتصور الآن ان « جمال عبد الناصر » شخصية حاكمة كهذه الشخصيات التى تحكم دول العالم ، لأن عبد الناصر اصبح خلال هذه السنوات رمزا تاريخيا ورائدا وصاحب فلسفة سياسية واجتماعية وقومية .

***

لقد واجهت ثورتنا بقيادة جمال عبد الناصر موقفا داخليا معينا ، يرتبط بموقف خارجي .

ولم يبحث جمال عبد الناصر فى صفحات الكتب عن نظريات جاهزة تهديه سواء السبيل فى موقفيه داخليا وخارجيا ، لأن ظروف بلادنا الخاصة جعلت البحث عن نظريات جاهزة ضربا من العبث لا يمكن أن يحل مشكلاتنا ، وهكذا أصبح واجبا على جمال عبد الناصر أن يكتشف خلال النشاط العملى لثورتنا كل الطرق التى تؤدى الى النجاح .

ومن خلال العمل المتواصل ، تراكمت التجارب الصحيحة لدى جمال عبد الناصر ، وظهرت معالم طريقنا الخاص بنا فى موقفينا الداخلى والخارجى .

وأصبحت لبلادنا بفضل تجاربها الخاصة ، خبرة بمعالجة مشكلاتها بنفسها ، طبقا لحاجاتها ومبادئها وأهدافها . وانبثقت من خلال تجاربنا الثورية ، نظرياتنا الثورية الخاصة ، وهذا هو السبب الرئيسى فى أننا لا نحتاج الى نظريات أجنبية من الغرب أو الشرق لتطبيقها فى بلادنا .

غير ان استخلاصنا لنظرياتنا الثورية الخاصة من تجاربنا الثورية المتوالية ، لم يكن قط انغلاقا قوميا متعصبا يرفض الاستنارة بتجارب الآخرين ونظرياتهم ، بل كان مجرد ادراك منا للاختلاف الجذرى بين مشكلاتنا ومشكلات غيرنا .. وقد ساقنا هذا الاختلاف الجذرى الى البحث عن حل خاص لمشكلاتنا الخاصة .

وبفضل عبقرية جمال عبد الناصر فى استخلاص النظرية الثورية من العمل الثورى تكاملت لثورتنا بمرور الوقت فلسفتها الخاصة ، التى تتمثل داخليا فى النظام الاشتراكى الديمقراطى التعاونى ، وتتمثل قوميا فى الوحدة العربية كتعبير عن الارادة التاريخية للقومية العربية ، أما فى العلاقات الخارجية فتتمثل فى سياسة عدم الانحياز كتعبير عن الرغبة فى التعاون الدولى الحر ، بلا انحياز الى كتلة معينة من الكتلتين اللتين تتنازعان العالم الآن .

ولم تكن عبقرية جمال عبد الناصر تعمل وحدها فى هذا المجال ، بل كانت تعمل معها ارادته الحديدية ، ارادة الفدائى الذى لا يجلس فى كرسى الحكم بعقلية الحاكم وروحه ، بل بعقلية الفدائى وروحه وارادته .

لقد كانت المغريات التى أحاطت بعبد الناصر كثيرة جدا ، وكلها كانت تهدف الى تحويله عن الطريق الصحيح الذى اكتشفه بنفسه لبلاده واستخلص له نظريات العمل ، من خلال العمل نفسه . ففى الداخل كانت القوى القديمة المنضوية تحت لواء الاقطاع والرأسمالية الاحتكارية، تتصور ان عبد الناصر يمكن أن يقنع بتحقيق بعض شعارات ثورته دون أن يمس المصالح الجوهرية للاقطاع والرأسمالية الاحتكارية .

وهنا برزت الارادة الحديدية الى جانب عبقرية عبد الناصر لتحبط

كل آمال الاقطاع والاحتكار الرأسمالى ، ففرضت ارادة عبد الناصر باعتبارها تعبيرا عن ارادة الشعب ، خط السير الصحيح فى الداخل ، وتوالت ضرباته للاقطاع والاحتكار الرأسمالى .

والآن ماذا نرى فى بلادنا ؟

نرى اننا نعيش فى ظل اشتراكية عربية خالصة منبثقة من واقعنا الحى، اشتراكية نضع اسسها لبنة فوق لبنة، يشيدها جمال عبد الناصر قائدنا الثورى بقرارات يصدرها بين الحين والحين ، ترسم لنا معالم الطريق ، وتدفع مجتمعنا الى مرحلة جديدة كل يوم فى تحقيق الاشتراكية واذا كانت قد صدرت قرارات كثيرة حتى الآن فلا تزال هنالك خطوط أخرى كثيرة طويلة ، لان طريق الاشتراكية طويل ، وعبد الناصر بارادته الحديدية التى تعمل مع عبقريته الثورية ، مصمم على أن يحقق ارادة شعبنا فى بناء المجتمع الاشتراكى السليم .

وهكذا فشلت احلام الاقطاع والاحتكار الرأسمالى فى توهين ارادة بطلنا للسير بنا نحو الاشتراكية التى رفعها البطل شعارا اجتماعيا من شعارات الثورة .

وفى مجالات العمل الثورى الاخرى داخل وطننا يمكن أن نجد مئات الأمثلة من هذا القبيل ، وكلها تدل على أن عبد الناصر الفدائى الذى قاد ثورة ٢٣ يوليو قد اكتشف الطريق الصحيح لبلاده من خلال التجارب الثورية المتوالية ، ولا توجد الآن قوة مهما بلغت ضخامتها تستطيع أن تصرف عبد الناصر عن السير فى الطريق الصحيح .

***

وماذا عن الموقف الثورى الذى يتخذه جمال عبد الناصر ازاء العالم المحيط بنا ؟

ان هذا الموقف امتداد لموقفه الداخلى ولا يمكنه أن ينفصل عنه ، فقد اكتشف جمال عبد الناصر خلال تجاربه الثورية ان لبلادنا وضعها الخاص بها ، فهى لا تستطيع أن تزج بنفسها فى غمار الحرب الباردة لأن ذلك سيعرقل تطورها فى الداخل ، ويخرجها من التبعية للاستعمار ((كما كانت فى العهد الملكى)) الى السير فى ركاب تبعية من نوع جديد .

وعندما اكتملت فكرة الحياد الايجابى لدى جمال عبد الناصر، ذهب بها الى مؤتمر باندونج التاريخى ، ثم أصبح الحياد الايجابى وعدم الانحياز سياسة خارجية لنا ترتبط أشد الارتباط بما يجرى داخل بلادنا من تحولات ثورية عاصفة .

وقد أصبح واضحا لشعبنا الآن ان الانحياز سيفضى بنا الى التخلى عن طريقنا الثورى فى الداخل ، لان الانحياز الى الغرب ، سيتبعه الانحياز الى طريقته فى الحياة ، أى فى التنظيم السياسى والاجتماعى ،

فيرتع الاقطاع ورأس المال والساسة المحترفون في بلادنا ، ليدمروا كل ماشيدناه بعرقنا ودمائنا لجيلنا وللأجيال القادمة .

أما الانحياز الى الشرق ، فسيتبعه الانحياز الى طريقته فى الحياة كذلك . وقد برهنت الحياة نفسها على أن بلادنا لا يمكن أن تعيش فيها الا طريقة حياتها الخاصة المستمدة من مثلها العليا وأهدافها القومية الثورية .

ولكن عدم الانحياز لا يعنى موقفا سلبيا تتخذه بلادنا حيال مايجرى حولها فى العالم . لأن ما يجرى فى العالم يهم بلادنا مباشرة ، لسبب بديهى ، وهو أنها جزء من هذا العالم تتأثر بما يجرى فيه .

وقد انتفت السلبية تماما عن موقفنا الخارجى بمئات البراهين .

فنحن نتخذ فى قضية السلام العالمى موقفا صلبا يستند الى مبادىء راسخة ، وقد شهد العالم كله كفاحنا المستميت فى سبيل تدعيم السلام العالمى ومحاربة القوى التى تحاول تحطيمه .

وقد ساهم انتصارنا على العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ فى تدعيم السلام العالمى وتقليم أظافر القوى الساعية لتعكير الامن الدولى .

وعندما أرسلنا قواتنا الى الكونغو ، كنا نهدف الى المساهمة فى ابعاد الحرب الباردة عن هذا البلد الافريقى الناهض .

وكان التقاؤنا بأشقائنا الافريقيين فى العمل المشترك من اجل تدعيم الاستقلال للدول الافريقية الناشئة ، عملا كبيرا لتدعيم السلام العالمى ، بابعاد الحرب الباردة عن القارة الافريقية .

وهذه المواقف ، كلها ، التزمها عبد الناصر كقائد ورئيس لبلادنا ، لا لأسباب عاطفية ، مع توافر هذه الاسباب ، ولكن لأسباب موضوعية بحتة تتعلق بمصالح بلادنا ومصالح الشعوب الاخرى الشقيقة ، وغير الشقيقة .

وعلى هذا الاساس نستطيع أن نفهم موقف التأييد القوى الذى كان لعبد الناصر ازاء ثورة كوبا عندما هوجمت بالسلاح ، وكانت برقية عبد الناصر الى كاسترو تحمل كل المعانى الاساسية لموقف بلادنا حيال قضية السلام العالمى ، هذا الموقف الثابت الذى لا يفرق بين بلد وبلد ، وبين قارة وقارة .

وعلى هذا الأساس أيضا نستطيع أن نفهم جانبا من موقفنا ازاء اسرائيل .

فاذا نحينا جانبا كل الاعتبارات القومية والحقوق الشرعية الخاصة بعرب فلسطين وجدنا ان موقفنا من اسرائيل سيظل كما هو الآن ، لأن اسرائيل بؤرة للحرب فى منطقتنا ، ومعسكر مسلح يخدم مصالح القوى المعادية للسلام العالمى ، ولهذا تقف بلادنا بالمرصاد لاسرائيل ، ولا تغفل عن مؤامراتها لحظة واحدة ، لان التسامح مع اسرائيل ، سيفضى

بنا فى النهاية الى التسامح مع أعداء السلام العالمى انفسهم ، ثم تسليم قضية السلام العالمى لخصومها الألداء ، يعيشـــون بهسا كيفما شـاءوا ؛ ويعرضون أرواح الملايين فى العالم كله للدمار فى الحرب الذرية .

وهكذا أصبح موقف عبد الناصر الخارجى ، يتمثل فى عدم الانحياز كسياسة ثابتة لابعاد بلادنا عن الحرب الباردة ، ولتخفيف الحرب الباردة نفسها على المستوى الدولى ، وتدعيم السلام العالمى ، وتوطيد الصداقة والتعاون مع جميع الشعوب على قدم المساواة .

وهذا هو الطـــريق الصحيح الذى اكتشـفه جمال عبد الناصر لسياستنا الخارجية ، وهو طريق معبد يمتد فى موازاة طريقنا الداخلى ويلتقى به فى عدة مواضع .

وكما لا توجد هناك قوة تستطيع أن تصرف عبد الناصر عن السير فى طريقه الداخلى الذى اكتشفه لبلادنا ، فانه لاتوجد أيضـــا قوة فى العالم تستطيع أن تصرفه عن السير فى الطريق الخارجى الذى يتفق تماما ومصلحة بلادنا ، ومصلحة منطقتنا ، ومصلحة السلام العالمى كله .

وقد كان جمال عبد الناصر واثقا بنفسه تماما عندما دعم علاقات بلاده التجارية وغيرها مع المعسكر الشرقى . ولما ثارت الاكاذيب فى البلاد الغربية ضد عبد الناصر تتهمه بالانحياز الى الشرق لم يأبه لها ، ومضى واثقا بنفسه فى طريق الصداقة مع جميع الدول والشعوب !

والآن ماذا عسى أن يقول أولئك الذين أسرفوا فى القاء الاتهامات جزافا على طريق عبد الناصر الخارجى ؟

لقد أصبح كل شىء واضحا الآن ، وأيقن كل الناس ، من أصـــدقاء وأعداء ، ان طريق عبد الناصر الخارجى ، كان طريق بلاده الخاص ، وقد مضى فيه بلا انحراف ، وما يزال يمضى ، ولن يزال .

***

وفى الطريق الى القومية العربية ، مضى بنا جمال عبد الناصر ، كما مضى فى طريق المجتمع الاشتراكى وعدم الانحياز .

وكان طريق القومية العربية أيضا يحتاج الى من يكتشفه على حقيقته ليسير فيه شعبنا الذى طال انقطاعه عن أشـقائه العـرب فى مشرقهم ومغربهم .

ومرة أخرى ، لم يلجأ عبـــد الناصر الى النظريات الموضوعية عن القوميات لكى يستخلص منها موقفه وموقف شعبنا من قضيـة القومية العربية ، بل استطاع أن يستخلص من تجارب النضال العربى فلسفة القومية العربية ومنهاج الوحدة العربية .

واكتشف عبد الناصر خلال النضال العربى الذى قاده ، ان الوحدة

المنشودة بين أجزاء الوطن العربي لا يمكن أن تجيء قسرا ، ولا يمكن أن تتحقق عن طريق حربي كما تحققت وحدة المانيا وايطاليا مثلا في القرن التاسع عشر .

واكتشف عبد الناصر في القومية العربية طبيعتها الاجتماعية الثورية ، فهي ليست مجرد انضواء تحت راية واحدة وحكومة واحدة ، بل هي أسلوب ثوري لتحويل المجتمع العربي من مجتمع متخلف اقطاعي الى مجتمع متقدم صناعي ترفرف عليه العدالة الاجتماعية المتمثلة في الاشتراكية العربية .

واكتشف عبد الناصر ان القومية العربية بطبيعتها معادية للاستعمار ، ولا يمكن أن تلتقي معه ، بل ولا يمكن أن تحقق أهدافها الا بنضال لا هوادة فيه ضد الاستعمار وعملائه .

وهكذا تكاملت بالتدريج نظرية القومية العربية من خلال النشاط الثوري الذي قاده جمال عبد الناصر لتحقيقها ، وأصبحت لها جاذبية جماهيرية لا يمكن اغفالها في أي مكان من الوطن العربي الكبير ، مهما كانت طبيعة الحكومات القائمة هناك .

وقد استطاعت هذه النظرية أن تفند كل الحجج الزائفة التي يتذرع بها بعض الحكام العرب لضم أجزاء من البلاد العربية اليهم عن طريق القوة .

فان محاولة ضم الكويت الى العراق ، أو محاولة ضم جزء من صحراء الجزائر الى تونس ، محاولتان تتعارضان مع طبيعة النضال العربي الذي يستهدف توحيد البلاد العربية ، عن طريق الاقناع والاجماع ، لا عن طريق الفتوح العسكرية .

وفي مواجهة أعداء القومية العربية ، لا يمكن للعرب أن يحرزوا النصر النهائي ، الا بالسعي الدائب للتضامن العربي ، باعتباره طريقا الى وحدة العرب .

ولو كانت الامة العربية قد سارت الآن في طريق الوحدة الى حد كاف ، ما استطاع الاستعمار الفرنسي أن يبقى في الجزائر ، وما استطاعت اسرائيل أن تبقى في فلسطين ، ولاسترد العرب قطع الارض السليبة ، في أطراف سورية كالاسكندرونة ، وفي أطراف العراق كعربستان ، وفي أطراف المغرب كموريتانيا ، وفي كل مكان آخر من بلاد العرب الفسيحة .

وبعد

فان البطل الذي قاد الثورة في صبيحة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ بروح فدائي لا ينتظر جائزة الفداء ، ما زال يقود هذه الثورة بعد أن شقت طرقها الثلاثة الكبرى : المجتمع الاشتراكي ، والقومية العربية ، وعدم الانحياز .

وقد تكاملت نظريتنا الثورية الآن ، وما زالت تكسب جديدا كل

يوم ، بفضل هذا الرجل المتواضع الذى يعمل ليل نهار كما يعمل الفدائيون .

وفى عيد الثورة العاشر ، ينحنى التاريخ اجلالا لأعمال عبد الناصر الثورية ، ولكن عبد الناصر يظل كما كان دائما فدائيا منكرا لذاته ، يعمل ويكتشف الحقائق خلال العمل ويعطى العمل الجديد كل الحقائق التى اكتشفها خلال العمل القديم ، ومن خلال هذه الحقائق كلها تبرز حقيقة الثورة الكبرى التى قادها عبد الناصر ، وسيظل يقودها الى أعظم الغايات ، وأبعد الاهداف .

تحية للثورة ، ثورة كل العرب .

وتحية لبطلها ، بطل جميع العرب .


من أجل
إشتراكية
عربية
خالصة

— أبى : لماذا نأكل اللحم، والفلاحون الذين يرعون الماشية ويربونها لا ياكلونه ؟

وكان السؤال مفاجئا للموظف النـازح من بنى مر . وهو يسمعه لاول مرة من بين شفتى ولده الذى لم يتجاوز الثامنة بعد .

والحق ان أكثر الفلاحين ما كانوا ياكلون اللحم على الاطلاق ، ولا كان يفعل ذلك أحد آخر من أفراد أسر القرية التى كانت تمضى بهـــا الحياة ، تماما كما تمضى بالعشرات والمئات من الاسر التى كانت تعيش لتحمل من أجل أن يتخم الآخرون من العاطلين الذين ورثوا البطالة مـع الثروة عن آبائهم وأجدادهم ليبعثروا نتاج العرق والجهـد الذى يبذله الفلاحون ، فى دور اللهو والرقص والمواخير .

غير ان الرجل كان يعلم أن ولده على حق وانه كان يمكن أن يكون واحدا من هؤلاء الذين يعيشون تحت سلطـان الورثة العاطلين لولا انه استطاع أن يرتفع بنفسه وعائلته عندما حصل على وظيفة فى الاسكندرية بعيدا عن القرية .

ولم يعرف الرجل الطيب كيف يجيب ولده ، أما الولد نفسه فقد عرف بعد ذلك بسنوات كيف يجيب عن السؤال الذى ظل يدور فى رأسه كدوامة منذ ذلك اليوم ، حين استطاع أن يحقق بنفسه قانون الاصلاح الزراعى وأن يسلم بيده شهادات التمليك للفلاحين الذين كانوا كمـا مهملا ، ثم أصبحوا على يد فلاح بنى مر هم السادة أصحاب هذه الارض .

والذين عاشوا الايام الذليلة التى شهدتها مصر ، حين كان أصحاب الكروش البارزة هم وحدهم أصحاب كل شىء ، ثم عاشوا الايام البيض التى شهدتها مصر وهى تنفض عن نفسها ادران حكم فاسد سيطر على قدراتهـا لسنوات رهيبة طويلة ، هؤلاء يستطيعون أن يدركوا حقيقة المعجزة التى انبثقت عنها أرض بنى مر ، المعجزة التى ظل أبناء هـذا الشعب يرفعون أكفهم كل يوم الى السماء من أجل أن تحدث ، وهم يهتفون ويتضرعون : يا رب ، هل من معجزة ؟ هل من بطل يا رب ؟

ومن اعماق هذا الشعب جاءت المعجزة ، وانبثق بطل عملاق عرف كيف يزيح الكابوس الرابض على الانفـــاس ، ويضرب الضربة التى كان يجب أن تحدث قبل ذلك بسنوات طوال ، يوم وقف قائد آخر عملاق ، وفلاح أيضا يريد أن يستخلص حقوق الشعب من بين أنياب أسرة فاسدة ألقت بنفسها فى أحضان المستعمرين ، وصرخ عميدها عندما سمع طلبات الشعب من فم أحد أبناء الشعب « كل هـــذه الطلبات لا حق لكم فيها . وأنا ورثت ملك هذه البـــلاد عن آبائى وأجدادى ، وما انتم الا عبيد احساننا » .

وكانت هذه الصورة مثيرة حقا ، صورة أن تكون مصر ضيعة تباع وتشترى ويتصرف أصحاب الكروش الضخمة فى أصحابها الاصليين من الفلاحين وكأنهم العبيد !

وانتفض عرابى وهو يهتف : لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا وعقارا . فوالله الذى لا اله الا هو اننا لن نورث ولن نستعبد بعد اليوم !

على أن « عرابى » وان فشل فى تحقيق حلمه بسبب سلسلة من الخيانات والاحقاد والنذالات التى كانت تســيطر على بعض الرءوس ، لم ينس عملاق بنى مر هذا الحلم ، بل ظل يذكره ، حتى وقف ذات يوم بعد أن نفض يديه من الطغاة يعلنها فى الناس قوية راعدة : « اذا قلت اننى أشعر بشعوركم ، فلأن قلبى من قلبكم ودمى من دمكم ، واحساسى من احساسكم . ولأول مرة فى تاريخ مصر استطاعت فئة من أبناء مصر أن تشعر شعورا متحدا قويا ، وأن تقيم على أرض مصر حكاما من أبناء مصر . »

***

وفى الحق أن سر عبد الناصر يكمن فى هـــذه الكلمات القليلة الصافية .

فهو واحد من أبناء الشعب تبلورت فى قلبه وعقله وضـــميره ، صورة صادقة لحقيقة حياة هذا الشعب .

وكان جمال يعيش فى أعماق الصورة نفسها .

وكانت الصـــورة فى الحقيقة رهيبة مخزية ، فالشعب ، يجثم على أنفاسه أذناب الاستعمار بكامل قذارتهم ودناياتهم . والمجتمع عامر بالظلم الاجتماعى لا يدع فرصة لمصرى ليملأ رئتيه بالهواء النقى .

والفساد والرشوة والنفاق هى العملة التى تتعامل بها كل الطبقات، والديمقراطية الزائفة هى التى يغطى بهـــا الجميع دكتاتورية الاستعمار والسراى !

وعاش عبد الناصر وفي الاعمـــاق منه احساس بمــا يعيش فيه الشعب • احساس ربما لم يدرك كنهه جيدا الا بعد أول ضربة هبطت على رأسه من عصا غليظة تفجر لها الدم وهو بعد لا يزال في الثالثة عشرة •

وكانت الضربة اصابة واحدة من بين ضربات أخرى كثيرة أصابت زملاءه الذين اشتركوا معه في مظـــاهرة الاسكندرية التى خرجت تهتف بسقوط الاستعمار وأذنابه بعد أن ألغى اسماعيل صدقى الدســـتور ، وأرسل زبانيته ليخنقوا صيحات الحرية في حلوق المصريين •

فهناك في ميدان المنشية بالاسكندرية كان جمـــال يرفع عقيرته الصغيرة بحياة مصر حين أقبل لوريان مليئان برجال البوليس انهالوا على التـــلاميذ الصغار بهراواتهم الثقيلة ، وبدأ الطلبة يتفرقون في ذعر وفجأة ، رفع أحد رجال البوليس هراوته وضرب بها الصبي الصغير ، ولم يكد الفتى يقع على الأرض وهو يرفع يديه في محاولة لحماية رأسه حتى تقـــدم رجلان آخران من رجال البوليس ورفعاه عن أرض الشارع فى ضراوة ، على حين انهـــال ثالثهم عليه بالضرب مرة أخرى • وتدفق الدم ساخنا من رأس جمال •

وعندما عاد جمال الى المدرسة كانت الضمادات فوق رأسه وشاح شرف له بين زملائه ، وكانت جراح رأسه جزءا من تربيته السياســـية التى تلقاها وهو بعد طالب صغير ، ليشرع منذ ذلك اليوم فى المشاركة فى الحركات السياسية واحدة بعد أخرى ، وليس له من هدف غير تحرير مصر من النفوذ الاجنبى ونفوذ الحكام من أذناب الاجنبى •

والحق ان النفـوذ المزدوج الذى كان يسيطر على قدرات مصر كان أثقل من أن يحتمله شعب مصر ، فهنا حكام اعتقدوا أنهم أصحاب كل شيء ، وراحوا كاللصوص والخطافين ينهبون ويسرقون ويفعلون كل سيىء وخبيث • أما كل الشعب فقد أظلمت الدنيا أمامه ، وهو لا يرى من حوله سوى الفقر والمذلة والهوان والضياع • .

وهنا مستعمرون ، كل بضاعتهم أنهم استطاعوا أن يســـتولوا على بعض النفوس الدنيئة • ومنحوا أصحابها المال ، والمناصب ، والسلطة ، والنفوذ ليستطيعوا أن ينفذوا من خلالهم الى أعماق الشعب ليطفئوا فيه جذوة الحرية والنور والحياة !

وخلال هذا وذاك كان على الشعب أن يعيش ، وأن يحتمل ، وأن يصبر ، فى انتظار المنقذ الذى يعطى ولا يأخذ والذى يستطيع أن يلغى المبدأ القديم الذى يقول : كل شيء لى ولو على حساب الآخرين ، وأن يضع بدله هدفا جديدا يقول : « كل شيء للآخرين ولو على حسابى » •

وفى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حدثت المعجزة

وقاد جمال ثورة الملايين ، ثورة الشعب كله ، ثورة الفلاحين والعمال والطلبة والموظفين والتجار ، ثورة كل فرد كانت تظله أرض مصر •

وكان قيام جمال بالثورة معجزة ، معجزة وصفها هو نفسه حين قال :

« لقد قامت الثورة ورتبت في جو من الفساد والرشـــوة ، وفى وقت يصعب أن تقوم فيه ثورة ، فقد كانوا يغرون كل الطوائف بالمال ، وبالرشوة ، ولكننا نحن رجال الجيش كنا نفكر في الشعب ، كنا نقارن دائما بين السير مع الشعب وفقراء الشعب والسير مع الشرفاء المزعومين ، فآثرنا أن نسير مع الشعب في سبيل أهداف الشعب لرفع مســـتوى الشعب »

وقام الجيش بالثورة ، وكانت بواعث الثورة في نفوس رجاله هي البواعث نفسها في نفوس كل أبناء هذا الشعب ، انها ذلك الضيم الذى كان الشعب يشرب كأسه حتى الثمالة صباح مســـاء على أيدى فئة من الاعداء والدخلاء عليه .

انها ذلك الفقر الاسود الذى اجتاح أغلبية الشعب بغلظة لا ترحم ، لحساب فئة من المترفين لم يتفننوا فى الحيـاة شيئا كما اتقنوا امتصاص الدماء .

انها ذلك الخوف المقـسوت الذى سيطر على الناس الى الحد الذى جعلهم يكادون يخشون التحدث حتى الى انفسهم ، لكيلا تلمحهم من عيون الطغاة عين ، أو تسمعهم من آذانهم اذن !

انها ذلك الضعف أو الاستضعاف الذى طوى الشعب طيا ، وجعله لا يكاد يصدق تاريخه القديم ، ولا يكاد يثق بحاضره ، ولا يكاد يكون له فى مستقبله أمل معروف !

والحق ، أن كل ذلك ، كان يوحد بين كل القـلوب ، وكان هو نفسه الذى جعل الرداء العسكرى الذى يرتديه رجال الجيش ليس أكثر من مجرد رداء اختارته الظروف لهم ، كما اختارت للعامل بدلته الزرقاء ، وكما اختارت للفلاح جلبابه الازرق أيضا ، وربما كانت هذه الازياء تفرق بينهم ، ولكنها تفرقة لا تعدو المظهر ، لا تعـــدو ذلك الرداء الذى يغطى الاجسام . أما النفوس ، والمشاعر ، والارواح ، والآلام ، والآمال فكلها واحدة ، كلها نبتت حين نبت الجميع من هذه الارض الطيبة ، وكلهـــا ترعرعت حين ترعرع الجميع فوقها ، وكلها توحدت حين وحدت بين الجميع مياه النيل الخالد الذى ندين له بالحياة .

ومن هنا نجحت ثورة جمال ، بل نجحت ثورة كل الشعب .

وانطلقت الثورة فى طريقها ، وعملاق بنى مر يعمل من اجل تحقيق أمجاد لهذا الشعب ، أمجاد كافح من أجلها الشعب سنوات وسنوات لكى يحقق لنفسه الحرية الحقيقية ، والديمقراطية الحقيقية ، والعـــدالة ، العدالة التى خذلوه وحطموه وأذلوه لكى يعجز عن الوصول اليها .

بالعرق ، والدم ، والكفاح ، راح العملاق يحرز لوطنه انتصارا تلو انتصار ، ومفخرة بعد مفخرة ، كل واحدة منهـــا كانت تكفي لجيل من الاجيال ، لكي يفخر بها على مر الزمن وكر السنين .

وتوالت الامجاد .

طرد الطاغية ، وقضى على الاقطاع ، وأممت القناة ، وهزمت الدول العظمى ، وقضى على احتكار السلاح ، وتحققت الوحدة ، وانشيء جيش قوى ، وأصبحت القومية العربية حقيقة واقعة .

غير أن الطريق الى كل هذه الامجاد كان ســـاقا طويلا رهيبا عامرا بالمتاعب والاشواك والصعاب ، وكان من الممكن أن تقف بعض هذه المتاعب والاشواك والصعاب في وجه أى زعيم في أى مرحلة من مراحل الجهاد ، ولكن « جمال » كان رجلا غير كل الرجال ، عمـــلاقا غير كل العمالقة ، معجزة غير كل المعجزات .

كان انسانا مؤمنا يعرف طريقه

كان مؤمنا بمصريته فعمل على أن يكون كل مصرى فخورا بمصريته ؛ معتزا بها ، حريصا عليها .

وكان مؤمنا بعروبته ؛ فبذل جهده ليرفع شعار القومية العربية ، ويمد يد العون لشعوب الوطن الكبير في كفاحهـــا ضد الاستعمار ، وضد الطغيان ، وضد الفساد . .

وكان مؤمنا بوحدة وطنه فجهد ليوحد صفوفه ، في جبهة متحدة تضم كل الطبقات وكل الناس ، وكل شعوب العرب .

وكان مؤمنا بالســـلام فعمل من أجل صداقة الشعوب ، في آسيا وافريقية ، ومحبي السلام في أوربا . ونجحت باندونج ، ونجحت أكرا ، ونجحت بريونى .

أما قبل ذلك كله فقد كان عبدالناصر مؤمنا بربه وبوطنه وبنفسه .

وبهذا الايمان كله ارتفع عبد الناصر ارتفع السياسي الثائر الفتى المؤمن ، فلاح بنى مر ، ليصبح علما من أعلام الـــكفاح الحر في كل هذا العالم الكبير .

بهذا الايمان حقق عبد الناصر عدة معجزات لشعبه ولبلاده .

والتاريخ الذى يفتح عينيه جيدا ، هو الذى سيتحدث على الدوام عن معجزات ذلك الايمان .

***

بهذا الايمان حقق عبد الناصر عدة معجزات لشعبه ولبلاده .

ولعل الاشتراكية العربية التى أرسى قواعدها وأقام دعائمها ووضع فلسفتها جمال عبد الناصر احدى هذه المعجزات ·

وكان لابد من أجل أن يحقق عبد الناصر هذه المعجزة أن يقود البلاد فى معركة اجتماعية هائلة واسعة النطاق ·

وكانت المعركة الاجتماعية هى وحدها احدى المعجزات ·

فالمعركة الاجتماعية التى يقودنا فيها عبد الناصر الآن ، انما هى امتداد لمعاركنا الوطنية ضد الاستعمار ؛ بل انهما معركة واحدة ذات مرحلتين احداهما مرحلة الكفاح ضد الاستغلال الذى يمارسه المصريون والمتمصرون فى مصر ·

والقاعدة التى يسير عليها الاستعمار فى نضاله من أجل البقاء ، هى القاعدة التى يسير عليها نفسها المستغلون الجشعون . ان الاستغلال مثل الاستعمار ، لا يتخلى عن مسرح التاريخ ولا يفسح مكانه الا تحت ضغط قوة لا يستطيع أن يقهرها ·

وتؤدى قيادتنا بزعامة عبد الناصر ، فى معركتنا للتحرر الاجتماعى الدور الذى أدته فى معركتنا للتحرر الوطنى ·

فى الماضى كان زعماء الاحزاب لا يفكرون فى المساس بشبر من الأراضى الواسعة التى يضع الاقطاعيون أيديهم عليها ظلما وعدوانا ·

ولم يكن الساسة والحكام يفكرون فى تقليم أظافر الاستغلال الرأسمالى الذى يعتصر دماء شعبنا ويكدس الثروات الهائلة فى أيدى عدد قليل جدا من المغامرين والوارثين ·

وكان ذلك طبيعيا تماما ، لان الساسة والزعماء القدماء ، كانوا هم أنفسهم من الاقطاعيين والرأسماليين ، أو كانوا ممن ترتبط مصالحهم بالاقطاعيين والرأسماليين فضلا عن الاستعماريين ·

ولهذا كانت أعلى مراحل الكفاح الاجتماعى التى قادها زعماء الاحزاب تتمثل فى مشروع كمشروع «الحفاة» ، أو « مشروع البر » ، وما الى ذلك من المشروعات الوهمية التى لاهدف لها الا تخدير الشعب وايهامه بأن هناك اصلاحا اجتماعيا ·

وقد نادت القيادات القديمة ، خلال صيحاتها الانتخابية ، بمحاربة الفقر والجهل والمرض ؛ ولكن ماذا حدث بعد تلك الصيحات ؟ لقد تفاقمت مشكلات الفقر والجهل والمرض ، واشتدت ضراوة الاقطاع ورأس المال الاحتكارى ، وازدادت قوة التحالف بين الرجعية المحلية وبين الاستعمار العالمى !

وعندما قامت الثورة فى ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ وجدت أمامها كل هذه المشكلات التى تخلفت عن الصيحات الانتخابية الجوفاء ، فقامت الثورة بأول عمل صحيح للقضاء على الفقر والجهل والمرض ، ونعنى به قانون الاصلاح الزراعى ·

ولقد كان قانون الاصلاح الزراعى هو البـداية فقط لانه من غير المعقول أن تقلم الثورة براثن الاقطـــاع ، ثم تترك مخالب رأس المال الاحتكارى ناشبة فى عنق الشعب .

وهكذا صدرت القوانين الاشتراكية فى يوليو سـنة ١٩٦١ لتفجر الثروة الاجتماعية ، كما تفجرت الثورة الوطنية من قبل .

ومضى عبد الناصر يقود الشعب فى طريق ثورته الاجتماعية ، ثورة الاشتراكية العربية المنبثقة من أعماق شعبنا العربى ، ليكتب مرحـلة جديدة فى تاريخ هذا الشعب .

وأول كلمة فى المرحلة التاريخية الجديدة التى يقودنا الى ساحاتها الكبيرة رائدنا وزعيمنا جمال عبد الناصر ، انما هى « العروبة » .

ان العروبة هى الـــكلمة المقترنة بكل شىء يجرى فى حياتنـا ، فاشتراكيتنا ليست مجرد اشتراكية، ان لها صفة لازمة لا تنفصل عنها ، هى أنها اشتراكية عربية .

وباعطاء اشتراكيتنا صفتها العـربية ، نستعيد كل ملامح قوميتنا العربية التى حاول المستعمر طويلا أن يجردنا منها ، ان أول شىء يفعله المستعمر عندما يحتل بلدا هو أن يجرد شعبه ، أو يحاول أن يجرده من شخصيته القومية .

وقد فعل الاستعمار كل ما فى وسعه ليجرد شعبنـا من قوميته ، وشعبنا الذى نعنيه هنا ، هو شعبنا الكبير فى الوطن العـــربى لا شعبنا العربى فى مصر فقط .

وقد تحمل الشعب العربى فى مصر نصيبا ضخما من محـــاولات الاستعمار لتجريد العرب من شخصيتهم .

فقد قضى الاستعمار العثمانى مثلا اربعمائة سنة يحاول أن يجعل مصر مجرد « ايالة » عثمانية مقطوعة الصلة بماضيها العربى العريق .

وكما فعل الاستعمار العثمانى فى مصر ، فعل فى العراق وسورية وليبيا والجزيرة العربية وكل بلد عربى احتله العثمانيون .

ولكن التاريخ اكتسح الاستعمار العثمانى ، والقى به فى سـلة مهملاته ، وأتاح للشخصية العربية أن ترفع رأسها ، وتسترد طابعها ، وتنفض عنها غبار القرون الأربعة الطوال التى جرت خلالهـــا محاولات « تتريك » العرب وخاصة المصريين ، أى تحويلهم من عرب الى أتراك !

والذين هبوا أخيرا يحملون على مصر ويشككون فى كفاحها العربى ، وخاصة أولئك المجرمين الذين يرمون مصر بأنها « فرعونية » ويفصلونها بهذا الادعاء الباطل عن كفاحهـا ذاته ، كفاحهـــــا من أجل الحفاظ على شخصيتها العربية فى مواجهة الاحتلال العثمانى ثم الاحتلال الفرنسى ، والاحتلال البريطانى . وقد استغرقت هـــــذه الفترات الثلاث قرابة خمسمائة عام .

وأخيرا جاءت الاشتراكية العربية التي وضع أسسها جمال عبدالناصر فبرهن بدليل رائع لا يمكن دحضه على أن الشخصية العربية ؛ كانت دائما محور كل نضال وطني أو اجتماعي في مصر ، وان الشخصية العربية ستظل الى الابد محور كل نضال في مصر في المجالين السياسي والاجتماعي .

وعندما وضع عبد الناصر أساس هذه الاشتراكية الجديدة وصفها منذ أول لحظة بأنها اشتراكية عربية ، فما معنى هذا الوصف ؟

ان معناه بسيط ولكنه عميق : فأما بساطته ، فمؤداها ان بناء المجتمع العربي الجديد الذي نواجه به متطلبات النصف الآخر من القرن العشرين وما يليه من أجيال ، هذا البناء عربي صميم لا نقلد به بناء يقوم في بلد أجنبي .

وأما العمق الذي ينطوي عليه . فمؤداه أن الشعب العربي لم يشأ أن يسلك طريقا سهلا فيستورد نظاما ويطبقه ، بل أراد أن يكتشف بنفسه القوانين الموضوعة لتطور كيانه القومي والسياسي والاجتماعي ، ثم يقيم مجتمعا عربيا خالصا ، تظلله العدالة والكفاية في ضوء هذه القوانين الموضوعة .

ومن هنا بدأ المجتمع الجديد الذي حققه الرائد العربي في ازالة استغلال الانسان للانسان ، لأن المضمون الاجتماعي للقومية العربية لا يتضمن استغلال عربي لعربي ، ولا يقر استغلال طبقة عربية لطبقة أخرى ، فالمضمون الاجتماعي العربي في أقصى مداه ، وهو المساواة التامة ، ستفرضها تطورات التاريخ برغم كل الارادات البشرية التي تحاول أن تعرقل هذه التطورات الحتمية .

ولكن بناء الاشتراكية العربية ليس معناه أننا نتنكر للتراث الانساني الكبير ، فليست العروبة تعصبا قوميا أعمى ، بل هي تعاون مع كل القوميات الأخرى ؛ والاستفادة من تجاربها الناجحة ، والاضافة الى هذه التجارب الناجحة تجارب عربية لا تقل عنها نجاحا .

وهناك قاعدة علمية لا ينكرها الآن أحد ، وهي أن كل الشعوب ستصل الى الاشتراكية ؛ ولكن الوصول الى الاشتراكية سيتم بعدة طرق لا بطريقة واحدة .

ان كل شعب سيصل الى الاشتراكية بأصالته القومية وتراثه وبدون أن يفرض عليه أحد طريقا أجنبيا للاشتراكية .

والآن ماذا نرى ؟ اننا نرى الاشتراكية في الهند تسلك طريقا غير الطريق الذي سلكته في الصين ، وتسلك في الصين غير الطريق الذي تسلكه في غينيا أو في غانا ، أو في كوبا أو في الاتحاد السوفييتي ودول أوربا الشرقية أو في بعض دول بحر البلطيق كالسويد .

ان الظروف الواقعية الصلبة يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند بناء

الاشتراكية وهذا ما يمنح التجربة الاشتراكية التي أرساها عبد الناصر أهمية فائقة لأنها تعكس شعبنا بشخصيته العربية الخالصة .

وهذا هو بالضبط ما عناه عبد الناصر من قوله ان « العروبة » أول كلمة في تجربتنا الاشتراكية ، لأنه لا يمكن فصل هذه الكلمة باية حال عن تجربتنا الاجتماعية الاشتراكية ؛ اذ ان اشتراكيتنا هي المضمون الاجتماعي للقومية العربية كما ثبت لنا خلال نضالنا القومي بالذات .

وقد كافح شعبنا فى مصر دهرا طويلا بكل قوة وصلابة ، وقاوم المستعمرين الوافدين عليه من تركيا أو فرنسا أو بريطانيا حتى انتصر عليهم .

وفى خلال كفاحنا ضد الاستعمار البريطانى كانت الأوضاع الاجتماعية فى بلادنا قد أخذت شكلا جديدا غير الشكل القديم الذى كانت عليه خلال كفاحنا ضد الاستعمار العثمانى .

لقد ظهرت فى عهد الاحتلال البريطانى زعامات الطبقة الوسطى أو « البورجوازية » كما يسمونها فى أوربا وقادت هذه الزعامات أحزابا مختلفة كانت تنادى بالاستقلال والحرية ولكن هذه الزعامة والأحزاب أفلست بالتدريج خلال كفاح سبعين سنة ضد الاستعمار البريطانى .

ولم تنشأ فى مصر قيادة شعبية تنتمى الى العمال والفلاحين والمثقفين وفئات الشعب الفقيرة الكادحة ، ولهذا حدثت فى النهاية أزمة كبيرة فى النضال الوطني وركدت الحركة الوطنية ولم يعد ثمة أمل واضح للخروج من هذه الازمة الا بانبثاق قيادة جديدة تماما قيادة شعبية تمسك بيديها زمام الحركة الوطنية وتربطها برغبة الشعب فى العدالة الاجتماعية وحقه فيها .

وفى ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ بزغت هذه القيادة المنشودة وفجرت الثورة الكبرى ضد الاستبداد الملكى والاقطاع والاستعمار .

واستطاعت القيادة الثورية أن تعكس فى ثورتها كل الشروط الخاصة بالحركات الشعبية الصميمة بل كانت هذه القيادة الوطنية سببا مباشرا فى اندفاع تاريخ بلادنا بسرعة أكبر بكثير من السرعة التى كان مفروضا أن يمضى بها فى اتجاه الأمانى الشعبية .

ولهذا السبب أحاطت جماهير الشعب قيادتها الوطنية بكل تأييدها ، وأصبح عبد الناصر قائدا ورائدا للشعب معبرا عن أمانيه .

وامتزج النضال فى سبيل الجلاء والحرية امتزاجا تاما بالكفاح الاجتماعى من أجل العدالة الاجتماعية ، ورفعت الثورة التى تزعمها رائد الشعب منذ البداية ، شعار « منع سيطرة رأس المال على الحكم » ؛ ولم يكن ذلك مجرد شعار بل كان سياسة صلبة سارت عليها الثورة بكل حزم مع سياستها الحازمة الأخرى ضد الاقطاع .

وهكذا راح عبد الناصر يرسى دعائم معجزة جديدة الى جانب معجزات أخرى كثيرة .

وبزعامة جمال عبد الناصر التى أهدتهـا الاقدار الى شعبنا بعد انتظار طويل . انتصر شعبنا فى معركته الوطنية ، وطرد المستعمرين من منطقة القناة ، ومن بور سعيد .

وبزعامة جمال عبد الناصر انتصر شعبنا فى معركته الاجتماعية ، واصبح الشعب سيد نفسه ، وصاحب مصيره وبدأ يبنى مجتمعه الاشتراكى الثورى الجديد على الأسس الصحيحة للاشتراكية النابعة من حاجات شعبنا وظروفه وأهدافه .

وقد استطاعت قيـادة عبد الناصر أن تحقق لشعبنا انتصـاره الاجتماعى ، لأن عبد النـاصر رجل من الشعب والى الشعب ؛ وليس له أدنى مصلحة تربطه بمصالح مستثمرى الشعب من الاقطاعيين وجبـابرة رأس المال والاستغلال الاحتكارى .

ولأن جمال عبد الناصر رجل من الشعب انتصر شعبنا بزعامته . فى معركته ضد المستعمرين أعداء الشعب أيضا وسيظل شعبنا يحرز الانتصارات الكبرى تحت زعامة جمال عبد الناصر ، حتى يملأ صفحات التاريخ .


المعركة ضد الاستعمار

لم تكن قيادة عبد الناصر قيادة محلية فحسب : بل كانت قيادة عرفت كيف ترسم الطريق لكل شعوب أفريقية والشعوب الأخرى التى تهدف الى التحرر من نير الاستعمار ٠

ومن أجل ذلك حارب الاستعمار تلك القيادة المتحررة حربا سعواء بلغت القمة عندما بدأ العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ٠

ففى ذلك العام جلت قوات الاحتلال عن بلادنا لأول مرة منذ سنة ١٨٨٢ ، ثم عادت ومعها قوات احتـــلال جديدة يدفعها عدوان بربرى ، وحقد دموى على القيادة الوطنية التى أمسكت بزمام الامور فى بلادنا بعد أن طال غيابها عن مسرح الحوادث خلال عهد الاحتلال البريطانى الحالك المديد ٠

ولكن القيادة الوطنية استطاعت ان تصمـــد للعدوان الاستعمارى الثلاثى ، ولم تتخل عن مكانها الذى وضعتها فيه اعمق التطورات التاريخية فى حياة شعبنا وحياة الشعوب كلها فى العصر الحديث ٠

ومن هنا بالذات نستطيع ان ننظر الى معركة بور سعيد ، على انها معركة القيادة الوطنية للشعب العربى وقد أجابت الحوادث فيها على هـذا السؤال :

ــ هل تبقى القيادة الوطنية على رأس الشعب العربى أو تستسلم للاستعمار وتخلى مكانها لقيادات غير وطنية تنفذ توجيهـات المستعمرين والصهيونيين ؟

أجابت حوادث سنة ١٩٥٦ المدوية عن هذا السؤال ، بطريقة فذة ، فان الشعب هو الذى قال لاعداء قيادته الوطنية : « ستبقى قيـــادتى الوطنية » ومن أجل هذه الكلمات الثلاث المقدسة حمل الشعب السلاح واستشهد من رجاله ونسائه وأطفاله الكثيرون حتى فرض ارادته ، وخرج من معركته ضد المستعمرين والصهيونيين ، وعلى رأسه قيادته الوطنيـة التى فتحت له أبواب الجهاد ضد هـــذه القوى الشريرة المعادية لحريته وتقدمه ووحدته ٠

ان القيادة الوطنية للشعب العربى هى احدى المسائل العويصة التى طرحها عليه تاريخه الطويل ، فليس الشعب العربى بضعة ملايين من البشر فى رقعة صغيرة من الارض وانما هو أمة كبيرة تمتد أراضيها فى قارتين ، وتطل على جيران كثيرين ، وتتفاعل مع ظروف مختلفة شديدة التعقيد ·

وقد استطاع شعبنا أن يحل مسألة القيادة الوطنية فى ظروف كفاحه الذى امتد مئات السنين ، وكلما امتد الكفاح اصبح دور القيادة الوطنية حيويا فى مصير شعبنا ولم يعد دورها محليا لأن الشعب العربى استيقظ لوحدته ،وتنبه لمجتمعه القومى العادل الذى لابد من بنائه ·

وفى معركة العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ كان شعبنا يعرف جيدا أن العدوان يستهدف تدمير قيادته الوطنية كما يستهدف تدمير حريته واستقلاله ، ولم يكن العدوان يستطيع أن ينفذ هدفا الا بتنفيذ الهدف الآخر ، فان الاستقلال والحرية لا يمكن تدميرهما ما بقيت القيادة الوطنية ممسكة بزمام الأمور ؛ ولا يمكن كذلك أن يمس الاستعماريون مركز القيادة الوطنية ما دام بلدنا حرا مستقلا ، ولهذا خسر الاستعمار معركة الشرق العربى كله عندما خسر معركة بور سعيد ، لأن الشعب العربى خرج من هذه المعركة وقد سجل انتصاره الذى يتضمن بوضوح رائع انتصار قيادته ، وكانت هذه هى الخيبة الكبرى لاحلام الاستعماريين والصهيونيين ، كما كانت هى الانطلاقة الكبرى لشعبنا الظافر فى ظل قيادته الوطنية الظافرة ·

والواقع أن الاستعمار أذهله أن تظهر فى الأمة العربية قيادة تعمل فى سبيل تحقيق الأهداف التى يحاول الاستعماريون منع الأمة العربية من تحقيقها · فالقيادة الوطنية للامة العربية الممثلة فى الرئيس جمال عبد الناصر قد طردت عملاء الاستعمار عن كراسى الحكم فى القاهرة منذ ثمانى سنوات ، ومنذ اليوم بدا واضحا أن القيادة الوطنية فى الشرق العربى قد ولدت ، وان أمامها ككل مولود جديد طريقا طويلا للكفاح والنمو وتخطى الحواجز التى تملأ الأرض ، وهى حواجز عتيقة شرسة غرسها الاستعمار فى أرضنا منذ عهود سحيقة فأصبحت لها قوة ثبات هائلة أخافت فى الماضى القيادات الوطنية المحلية ؛ بل واستطاعت أن تمنع هذه القيادات من كل خطوة أرادت ان تخطوها فى الطريق الصحيح ·

ولكن هذه العقبات التى تعثرت فيها خطوات بلادنا فى مراحل كفاحنا السابقة لم تستطع أن تملأ عيون قيادتنا الجديدة بمنظر الغول المخيف ·

ان « جمال عبد الناصر » بطل قيادتنا الوطنية العربية الجديدة لم يقل كما قال سعد زغلول : « هل عندكم تجريدة ؟ » وكان « سعد » يريد بذلك أن بلادنا لا تملك قوة مسلحة ترد بها كيد الاستعمار ولم يكن تطور كفاحنا حين ذاك يسمح لسعد زغلول أن يمد بصره الى أبعد من هذا السؤال ، كان لا يستطيع الاجابة عن هذا السؤال ، وكان أيضا ككل

زعماء تلك المرحلة من كفاحنا يحصر نفسه فى الدائرة المحلية الضيقة التى تحدها الاسكندرية شمالا وأسوان جنوبا . ومن البديهى أن الحركة الوطنية حين ذاك كانت تتمنى أن تكون فى يد شعبنا قوة ينتزع بها استقلاله ويحميه من العواصف والاطماع ، ولكن القيادة المحلية ؛ برغم كل النيات الحسنة ، لم تستطع أن تضع فى يد شعبنا اية قوة يرفع بها رأسه فى مواجهة المستعمرين .

وفى حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ظهرت حقائق ضعفنا أمام أعيننا ، وكانت حقائق مفزعة مخزية أثارت ضمير شعبنا وفجرت فى أعماقه ثوريته التى علاها الرماد فى سنوات الاسترخاء السياسى بعد ضياع الأهداف الوطنية لثورة ١٩١٩ .

وعندما تسلم جمال عبد الناصر قيادة شعبنا الوطنية كان مطروحا امامه السؤال الذى جرى على لسان سعد زغلول قبل ثلاثين عاما ، وكان السؤال مازال يقول لكل الوطنيين : هل عندكم تجريدة ؟

ولم تتقاعس هذه القيادة الوطنية عن النهوض بكل مسئوليتها للاجابة عن هذا السؤال الصارخ الذى تحطمت على صخرته أحلام شعبنا فى الماضى ، وتلاعبت عليه أهواء الزعماء المحليين والساسة ومحترفى الحكم .

ولسنا فى حاجة اليوم أن نروى قصة القوة وكيف حصلت عليها قيادتنا الوطنية ووضعتها فى يد شعبنا ، فقد أصبحت هذه القصة فصلا من تاريخ عصرنا بأكمله ، وأصبحت القوة حقيقة واقعة من حقائق الحياة التى يعيشها شعبنا الآن فى ظل قيادته الوطنية .

وفى معركة بور سعيد الخالدة كان الاستعمار يستهدف القضاء على هذه القوة بمعنى أنه كان يريد القضاء على القيادة الوطنية التى صنعت هذه القوة ، كما كان يريد القضاء على مقاومة شعبنا الذى أصبحت فى يده هذه القوة بفضل قيادتنا الوطنية . وهكذا ، فان الاستعمار فى عدوانه الثلاثى كان يستهدف فى الواقع تدمير كل تطورنا الجديد ويريد ردنا الى العهد الذى كنا فيه نعيش وراء أسواره وداخل حظائره ، ونتلقى الوحى والاوامر من عواصمه وممثليه وعملائه .

ولكن الحسابات التى وضع الاستعمار أرقامها فى دفاتره قد خابت كلها ، وتخبطت فى الخطأ بعد الخطأ وآل أمرها الى فشل وبوار وخسران مبين .

وخرجت القيادة الوطنية ظافرة من المعركة ، ولم يستطع الاستعمار أن ينال شيئا من القوة التى وضعها بطل القيادة الوطنية جمال عبد الناصر فى يد شعبه ، وكانت هذه هزيمة ماحقة للاستعمار العالمى كله ، وللصهيونية حليفته ، ونصرا تاريخيا بالغ الروعة ، عميق الاثر ، لشعبنا فى مصر ، وللامة العربية فى وطنها الكبير ، ولحركة التحرير الوطنى كلها فى افريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وللمناضلين فى سبيل السلام العالمى فى كل مكان .

وكسفت هذه المعركة أن الاستعمار العـــالمى الذى مازال يحتفظ بملامح الأسد وشكله وزئيره ، قد تحول الى أســــد من الورق المقوى ، لا حول له ولا طول ، ولا قدرة له على رد التاريخ الى الوراء .

ولكن كيف حدثت هذه المعجزة الكبرى من معجزات التاريخ ؟

لقد كانت القيادة الوطنية هى الرائد الذى مكن للشعب انتصاره النهائى على الاستعمار فخرج المستعمرون من بور ســـعيد ، ولم يدخل مستعمرون آخرون.

وكانت هذه حادثة تاريخية « كبرى » تقع فى بلادنا لاول مرة فى تاريخها منذ عهود سحيقة .

وقد سجل شعبنا هذه الحادثة التـــاريخية لتكون قدوة لجميع الشعوب فى العصر الحديث ، عصر انهيار الاستعمار العالمى وانتصـــار حرية الشعوب .

انتصار شعبنا فى بور سعيد مرتبط اذن بحالة الانهيار النهائى للاستعمار العالمى لقد أصبح شعبنا وبقية الشعوب أقوى من الاستعمار ، ولم يعد فى طاقة الاستعمار أن يقهر شعبا كشعبنا ، يملك القوة المعنوية والمادية والقيادة الوطنية المحتنسكة المتفـانية فى خدمة أهــــداف التحرر الوطنى .

ومعنى ذلك ان انتصـار بور سعيد لم يكن ممكنا أن يتحقق، لمجرد حالة الانهيار التى يعانيها الاستعمار ، وانه كان لابد لتحقيق ذلك النصر من وجود قيادة وطنية مخلصة ذكية .

ان الاستعمار مهما عانى من الانهيـــار المادى والمعنوى لا يمكن أن يتخلى عن مواقعه طوعا واختيــــارا ، لأن طبيعته المستغلة الجشعة تجعله يتشبث بالارض التى يحتلها حتى تطرده منها عوامل عميقة تتضافرعلى انتزاعه انتزاعا .

ولولا أن مصر كانت فى سنة ١٩٥٦ تحت قيادة وطنية ، ما استطاع شعبنا أن يكتل جهوده للظفر فى معركة بور سعيد .

بل ان قيادتنا الوطنية هى التى خلقت بكفاحها الموقف الذى وجد الاستعمار معه أن مصالحه الخبيثة مهددة بالاقتلاع من مصر .

فقيادتنا الوطنية هى التى حاربت الاحلاف الاستعمارية فى الشرق العربى والشرق الاوسط بوجه عام، حتى أصبح حلف بغداد مجرد ورقة وقعها حكام خونة ولم تجد لها سندا من الشعوب .

وقيادتنا الوطنية هى التى رفضت الصـــلح مع اسرائيل ، فقلبت بذلك خطط الصهيونية والاستعمار فى الشرق الأوسط رأســـا على عقب، ثم خطت قيادتنا الوطنية خطوة أكبر عندما كسرت احتكار الســـلاح ، واستطاعت بذلك انشاء جيش وطنى قوى يصمد فى وجه المستعمرين .

وقياداتنا الوطنية هى التى أممت شركة قناة السويس ، فضربت

مصالح الاستعمار ضربة قاصمة ، جعلته يقتنع تماما بانه لا سبيل الى التفاهم مع مصر الا بقوة السلاح .

وهكذا فان خطوات التحرر الوطني التي رسمتها القيادة الوطنية للشعب العربي في مصر ، اصطدمت مباشرة مع مصالح الاستعمار ، فكان العدوان الثلاثي الفاشل المشهور .

ولو بقيت مصر تحت القيادة القديمة التي كانت قبل ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لاستمر الاستعمار ، برغم ضعفه وانهياره ، يمارس استغلاله للشعب المصرى ، ويحتل بقواته أرض مصر .

وقد كان اضطرار الاستعمار الى العدوان على مصر سنة ١٩٥٦ دليلا قاطعا على أن القيادة الجديدة التي انبثقت في القاهرة ، مختلفة عن القيادة القديمة اختلافا جذريا .

فالقيادة القديمة ، كانت مؤلفة من القصر الملكي ورجال السياسة الحزبية والرأسماليين والاقطاعيين .

وكانت مصالح هذه القيادة الرجعية الاقطاعية الرأسمالية بزعامة الملك ترتبط تماما بمصالح الاستعمار العالمي ، كانت كل ضربة توجه الى الاستعمار في الواقع ضربة توجه الى القيادة الرجعية الخائنة المتحالفة مع الاستعمار .

ومن البديهي أن استمرار هذه القيادة المؤلفة من رجال الطبقات الرجعية والاحزاب المضللة ، في حكم بلادنا ، كان تأمينـا للمواقع الاستعمارية التي يهددها الانهيار .

وبفضل التحالف الوثيق بين القوى الاستعمارية العالمية ، والقوى الرجعية المحلية كان الاستعمار يحافظ على مواطئ أقدامه في بلادنا ، وينعم باستغلال شعبنا وامتصاص ثرواته .

ولم يكن معقولا لو استمرت هذه الاوضاع ، أن تنشب معركة في بور سعيد أو في غير بور سعيد من مدننـا ، بين شعبنا وبين القوات الاستعمارية المعتدية .

غير أن هذه الأوضاع لم تستمر ، واستطاع جمـال عبد الناصر القائد الجديد للشعب ، أن يضرب مصالح الاستعمار باستمرار ، حتى وجد الاستعمار أنه لا سبيل الى التخلص من قيادة عبد الناصر ، واعادة القيادة القديمة الا بالعدوان المسلح !

والاستعمار يعميه جشعه عن رؤية الحقائق ، برغم ما هو معـروف من طول تجارب رجال الاستعمار ودهائهم ولهذا فان الاستعمار تصور انه من الممكن عزل القيادة الجديدة ، كما كان في الماضي يعزل من يشاء من رجال القيادة الاقطاعية الرأسمالية الرجعية .

لقد كان السفير البريطاني يعزل رؤسـاء الوزارات ، فخيل الى البريطانيين أنهم يقـدرون في سنة ١٩٥٦ على عزل الوزراء المصريين ، واقامة حكومة جديدة بدلا من حكومة عبد الناصر .

وكان هذا منتهى المبالغة فى الخيال من جانب الاستعماريين ، لأنهم لم يدركوا الفارق الاساسى بين القيادة الرجعية القديمة التى لم يكن لها أى ارتباط بالشعب ، وبين القيادة الجديدة التى تستمد وجودها نفسه من الشعب .

وعندما وقع العدوان الثلاثى ، ونزل المعتدون فى بور سعيد بدءوا يتصرفون بوحى من هذا الاعتقاد الخاطىء الذى ملأ صدورهم ، فخيل اليهم أن الشعب سينفض من حول قائده . ولكن الشعب قابل المعتدين بالحديد والنار ، وبذل دماءه بسخاء دفاعا عن أرضه ، وعن قيادته الوطنية .

ولم ينس أحد بعد معارك الفدائيين فى بور سعيد خلال الاحتلال البريطانى الفرنسى ، ضد جنود الاحتلال ، بسبب اصرار الفدائيين على لصق صورة جمال عبد الناصر على جدران بور سعيد ، واصرار المعتدين على نزع الصورة ، فكان المعتدون ينزعونها ، وبعد ساعات يجدون جدران بور سعيد مغطاة بمئات من صور عبد الناصر .

ان هذه الحوادث كانت لها دلالتها العميقة . لقد برهنت على أن الشعب متعلق بقيادته ، مستعد للتضحية فى سبيل تمكينها من أداء مهمتها التاريخية النبيلة .

وقد برهنت التطورات التى حدثت بعد معركة بور سعيد على أن القيادة المصرية العربية الجديدة ممثلة فى الرئيس جمال عبد الناصر ، كانت فى مستوى مهمتها التاريخية ، وقد أدتها بأمانة وكفاية واخلاص ، بعد انتصار بور سعيد فى سنة ١٩٥٦ كما ادتها من قبل منذ فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ .

لقد كان الخط البارز فى انتصارنا على الاستعمار سنة ١٩٥٦ : يتمثل فى التغير الاساسى الذى طرا على كفاح الشعب المصرى بفضل قيادته الجديدة التى أهدتها اليه ثورة ٢٣ يوليو بزعامة الرئيس جمال عبد الناصر .

وليس صحيحا بحال من الاحوال أن حالة الاستعمار الراهنة ، حالة التفكك والانهيار التى يعانيها فى كل مكان فى العالم ، كفيلة وحدها بخروجه من المستعمرات وأشباه المستعمرات التى يحتلها .

ان الذى يرغم الاستعمار على الخروج من مواطىء اقدامه، هو الكفاح الوطنى الصحيح تحت قيادة لاترتبط مصالحها أو بعض مصالحها بالاستعمار ووجوده فى بلادها .

وجمال عبدالناصر هو القائدالوطنى الذى اكتمل فيه هذا الشرط، انه القائد الذى لاتربطه بالاستعمار اية مصلحة ، وبالعكس ، ان جميع

المصالح التى يعمل من أجلها عبد الناصر تصطدم مباشرة بمصالح الاستعمار العالمى .

ولم تكن هزيمة الاستعمار البريطانى والفرنسى ، ومعهما اسرائيل ، مهمة سهلة ، بل كانت مهمة معقدة تحتاج الى جهود جبارة بالرغم من اعترافنا بأن الاستعمار لم يعد قويا كما كان ، ولم يعد سهلا عليه أن يتغلب على الشعوب ، كما كان يفعل فى الماضى .

ولكن قهر الاستعمار ليس نزهة ، ولو كان هو الاستعمار البرتغالى الشائخ الذى يكاد يلفظ انفاسه ، فهانحن أولاء قد رأينا بأعيننا أن نهرو رجل السلام العالمى قد اضطر الى أن يحرر جزءا من بلاده بحد السلاح بالرغم من أن الهند كلها ظفرت بالاستقلال عن طريق المفاوضة .

ان معركة جوا الصغيرة فى الهند التى خاضها الاستعمار البرتغالى ضد الشعب الهندى ، لهى الدليل الذى لايدحض على أن الاستعمار العالمى لايفكر اطلاقا فى أن يتخلى عن شبر من الارض التى يستعمرها طائعا مختارا .

وهذا التصميم الاستعمارى الدنىء ، هو الذى واجهه عبد الناصر فى سنة ١٩٥٦ وقهره ، وانتزع منه انتصار بور سعيد العظيم !

وقد اطلقت معركة بور سعيد كل امكانيات القيادة الوطنية فى بلادنا ولهذا كان التطور الطبيعى التالى للمعركة هو قيام الوحدة بين سورية ومصر وظهور أول دولة كبيرة للعرب بعد انهيار آخر دولة لهم تحت سنابك خيل العثمانيين فى معركة مرج دابق سنة ١٥١٧ .

وهذه الدولة الكبرى ، ودعك من النكسة الانفصالية البائدة ، ليست مجرد دولة مترامية الأطراف غنية بمواردها الطبيعية وامكانياتها البشرية ، وانما هى قاعدة للعرب جميعا ، هى كما قال الرئيس جمال عبد الناصر « طليعة للكفاح العربى وقاعدته » .

وقد كان من البديهى بعد ظهور القيادة الوطنية للعرب أن تكون الدولة التى قامت على يد هذه القيادة ، طليعة لكفاح الامة العربية وقاعدة له ، لان هذه القيادة بالذات هى طليعة الكفاح العربى الذى وجد فى هذه المرة طريقه الصحيح ، واصبح الاستعمار عاجزا عن قهره واخضاعه كما فعل فى الماضى بانتفاضات الامة العربية المتفرقة .

من اجل ذلك اعلنت الجمهورية العربية المتحدة انها تضع كل امكانياتها لتحرير الجزائر الشقيقة ، لان تحرر الجزائر ليس عبئا على ابنائها وحدهم ، الذين واجهوا أعتى القوى فى العالم وقاتلوا كتلة من الدول الاستعمارية حتى تم لهم النصر .

وفى سبيل تحرير الجزائر دخلت الدولة العربية وقيادتها الوطنية فى معركة ضد القوى التى تحارب الجزائريين ، ضد فرنسا التى رفعت طوال ١٣٢ عاما رايتها فوق جزء كبير من أرض الجزائر ، وضد دول حلف الاطلنطى التى كانت تمد فرنسا بالمال والرجال والاسلحة وتساعدها على ازهاق الارواح وتشريد الاطفال والنساء .

وحين دخلت القيادة الوطنية في بلادنا معركة الجزائر بكل الامكانيات اللازمة لاحراز النصر ، لم تكن ترى هذا عملا ثانويا ، ولا تخطيا لالتزاماتها ، لأن هذا العمل من صميم واجبات القيادة الوطنية للشعب العربي الذى لايرى أى فارق بين أرض الجزائر وأرض مسقط وعمان وجنوب اليمن وفلسطين وأية أرض عربية أخرى يقوم فيها صراع ضد الاستعمار والصهيونية .

ومن هنا كانت بور سعيد هي نقطة الانطلاقة الكبرى بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، الذى تمثلت فيه القيادة الوطنية للامة العربية .

وقد كانت معركة بور سعيد أشبه بنار برهنت على أن هذه القيادة عرق من الذهب الخالص لاتزيده النار الا لمعانا وبريقا ، ففي هذه المعركة ، معركة الحياة أو الموت ، بدا بشكل مثالي ، مدى تمسك القائد الوطني جمال عبد الناصر بمبادىء الامة التى يقودها ، وفي أحلك ساعات المعركة ، ظل قابضا على حرفية هذه المبادىء ، فلم يخطر له مثلا وقد هاجمته دولتان من الكتلة الغربية ، أن ينحاز الى الكتلة الاخرى . لأنه كان يقاتل في سبيل تثبيت مبادئه التى لايحيد عنها .

وهذا هو الجوهر الاصيل للقيادة الوطنية العربية كما يمثلها جمال عبد الناصر ، جوهر الامة العربية التى تستمد من ذاتها أسباب قوتها ، وتأخذ من قوميتها أسلوب تطورها وتجددها ، وتمد للعالم كفيها بالسلام والصداقة في الوقت الذى تحرص فيه على استقلالها وشخصيتها وتقاليدها وتراثها الجليل .

وهذا الجوهر الاصيل للقيادة العربية الذى يتمثل في جمال عبد الناصر ، هو الذى جذب ولاء الشعب للقيادة ، وأعطى الامة كلها الروح المعنوية التى قاتلت بها في معركة العدوان الثلاثي ، وأثار في شعب بور سعيد أعمق تقاليد البسالة والفروسية التى قاتل بها أبناء الساحل المصرى قوات المغيرين على مدى الدهور من الصليبيين بقيادة لويس التاسع الى الاستعماريين الفرنسيين والبريطانيين الذين جاءوا ببوارجهم من قبرص في سنة ١٩٥٦ .

وهذا الجوهر الاصيل للقيادة العربية الذى يتمثل في جمال عبد الناصر هو الذى أعطى الأمة العربية انتصاراتها الحديثة ، فبعث قوميتها وبنى أول دولة موحدة لها تحولت الى طليعة وقاعدة للتحرر والوحدة ، وجعل زعامة الامة العربية في شخص جمال عبد الناصر ذات أثر ضخم في توجيه الاحداث في العالم كله ، ووحيا ثوريا يستمد منه الالهام كل الاحرار وكل الثوريين في أفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية .

ان التقاء الثورة العربية بثورة الكونغو أو ثورة كوبا أو ثورة أى بلد يحارب الاستعمار ، ليس طموحا غير مشروع للعرب كما يزعم الاستعماريون وعملاؤهم وانما هو التقاء طبيعي بين التيارات التى تتحكم في عصرنا وتوجه سيره الحتمي نحو القضاء على الاستعمار واقرار السلام العالمي والنهوض بحياة الشعوب التى منعها الاستعمار طويلا من التطور المستقل وبناء حياتها الاجتماعية .

وكفاح القيادة العربية متمثلة فى جمال عبد الناصر من أجل السلام العالمى ، ليس خروجا منها الى ما وراء الحدود ولا اقتحاما للحرب الباردة واشتباكا مع الدول الكبرى ، وانما هو جـــزء من رسالة الامة العربية تؤديه قيادتها الوطنية الواعية على أكمـــل وجه هو أدعى الى الفـخر والاعتزاز .

وكفاح القيادة العربية متمثلة فى جمال عبد الناصر ضد عمـــلاء الاستعمار فى الشرق العربى ، وضد المنحرفين عن روح القومية العربية من الداعين الى التجزئة أو التبعيـــة أو الانعزال . هذا الكفاح أيضـــا واجب من واجبات القيادة الوطنية العربية يؤديه جمال عبد الناصر دائما بغير كلل ، وقد كان هذا الكفاح سببا فى تساقط عملاء الاستعمار واحدا بعد واحد فى البلدان العربية ، ومازال هذا الكفاح قادرا على اعطاء عملاء الاستعمار الدروس التى هم فى حاجة اليها .


شخصية
البطل
وميثاق
الشعب
الميثاق

ان شخصية البطل الذى لا يتكرر فى تاريخ الامة ، الا مرة فى كل بضع مئات من السنين ، هى الشخصية التى اتفق المنصفون جميعا ممن كتبوا عن الرئيس عبد النـــــاصر خارج بلادنا على أنهـــا الشخصية الخاصة به .

ومن هنا كانت بطولة عبد النـــاصر هى بطولة القائد الرائد التى حولت مجرى التاريخ ، وكتبت صفحات جديدة فى التاريخ ، وأعطت كفاح الشعب مفهوما شعبيا صحيحا لاول مرة فى تاريخ كفاح شعبنا ضـــد الاستعمار والاقطاع والآفات السياسية والاجتماعية الكثيرة التى نخرت فى حياتنا أمدا طويلا .

وشخصية البطل هى التى صنعت ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ثم صنعت من هذه الثورة حادثا تاريخيا هائلا تخطت آثاره حدود وطنه الى المنطقة الكبرى التى تحيط بهذا الوطن .

وفى خلال عشر ســـــنوات من الكفاح الرائع المتواصـــل ، قادت شخصية البطل هذه الثورة من نصر الى نصر ، بدأت بتصفية الاحتلال الاقتصادى المتمثل فى الاحتكارات الاستعمارية التى كانت شركة قناة السويس على رأسها ، ثم جاء دور البناء الاجتماعى ، بناء الاشتراكية .

وفى خلال هذه المعارك كلها كانت شخصية البطل جمال عبد الناصر تقف وسط ظلمات المعركة وبرقها ورعدها ، كمنار هاد يبعث أضواءه فى كل الاتجاهات ، وترنو اليه جميع الابصار لتستمد منه الأمل والشجاعة وتهتدى الى الطريق الصحيح .

ان شخصية عبد الناصر هى شـــــخصية بطل الاســـــتقلال ، ولكن عبد الناصر ليس مجرد بطل للاستقلال ، لان دوره لم ينته عقب حصول بلاده على الاستقلال ، ولم يكن ممكنا لدوره ان ينتهى عندئذ، لانه كان أيضا بطل تحرر اقتصادى .

وعندما تم التحرر الاقتصادى لبلادنا واختفت الاحتكارات الاجنبية التى كانت تربض فوق أرضنا ، اخذت شخصية الزعيم الرائد على عاتقها قيادة الثورة الاجتماعية . وهى أصعب مراحل الثورة الكبرى التى بدأت منذ عشر سنوات .

ان قوانين يوليو ١٩٦١ الاشتراكية لم تكن مجرد قوانين صدرت ليقوم الجهاز الادارى بتنفيذها ، بل كانت فى الحقيقة صـــيحة الثورة الاجتماعية ، حيث انطلقت صيحة الثورة الاولى فى فجر ٢٣ يوليو منذ عشر سنوات .

وبانطلاق صيحة الاشتراكية فى بلادنا ، أصبح النضال الشعبى العـربى يدور على ثلاثة محـاور ضخمة : الحرية ، والاشــتراكية ، والوحدة .

ان تجربة الوحدة بين مصر وسورية أثبتت بما لا يدع مجالا للشك ان النضال الشعبى العربى الذى يستهدف الوحدة كهدف أصيل ، لايمكن ان يبلغ الهدف المنشود بالنضال حول محور « الوحدة » فقط ، فبدون « الحرية » لا يمكن الوصول الى الوحدة ، وبدون « الاشتراكية » لا يمكن الوصول الى الحرية !

وهكذا يبدأ طريقنا نحو الوحدة بالحرية والاشتراكية ، ولا يوجد طريق آخر يؤدى الى الوحدة العربية .

ومن النضال فى سبيل الاشتراكية ، انبثق مشروع الميثـاق الذى قدمه الرئيس جمال عبد الناصر لممثلى الشعب ، فى المؤتمر الوطنى الكبير .

لقد أثبت النضـال فى سبيل الاشتراكية ضرورة معرفة اعدائها من اصدقائها .

وأثبت هذا النضال ان اعداء الاشتراكية من الرجعيين والاحتكاريين وعملاء الاســـتعمار لا يمكن أن يهادنوها ، ولهـذا يجب الا يهادنهم الاشتراكيون ، ان الهدنة مع الرجعية ، فتح لابواب الحصـــون المنيعة فى وجهها ، وفتح أبواب الحصون ، كثيرا ما يعنى تســليم ما فى داخل الحصون .

ولكن الكفاح الاشتراكى بقيادة جمال عبد الناصر لا يخطر بباله أن يسلم مفاتيح حصونه للرجعية . انه بالعكس من ذلك يزيد حصونه مناعة ، ويجمع صفوفه صفا الى صف ، ويرتق الخروق التى اصابت جدران الحصون خلال المعارك الطويلة .

وبدلا من أن تقف الثورة أو تتقهقر ، فانها تتقدم وتقذف بأعدائها بعيدا ، وبدلا من أن تتراجع عن الزحف الاشتراكى ، فانها تندفع كل يوم فى هذا الزحف ، ويشتد اندفاعها الثورى حماسة وقوة .

وفى كل خطوة من خطوات المعارك التى لا تنتهى ، تجد الثـورة رائدها الذى التفت به دائما ، وستظل تلتقى به على مدى الايام .

وفى فجر ٢٣ يوليو ســـنة ١٩٥٢ كان موعد التفجير الثورى ، واستطاع الشعب المصرى كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى ميثاق العمل الوطنى « أن يعيد اكتشـاف نفسه ، وأن يفتح بصره على امكانياته

هائلة كامنة فيه ، ان هذه الامكانيات الهائلة حققت تجربة جديدة فى تاريخ الثورات » .

والمؤكد أن الشعب المصرى قد أعاد اكتشاف نفسه فعلا فى ٢٣ يوليو منذ عشر سنوات ، ولكنه اكتشف فى الوقت نفسه قائد كفاحه ورائده الشعبى الذى كان النضال يفتقر اليه لكى يصل الى النجاح ، بعد التعثر الطويل وراء قيادات لم تكن فى مستوى مواقف النضال .

وقد سار الشعب المصرى باطمئنان تام مع رائده الذى التقى به فى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، وعلى هدى عشر سنوات خاض الشعب مع رائده ثورته الشاملة التى بدأت بالقضاء على الاستعمار واستمرت فى طريقها للقضاء على كل قيد ترسف فيه أيدى الجماهير العاملة .

ولم تكن شخصية الرائد التى قادت جماهير شعبنا ، قوة خفية من قوى ما وراء الطبيعة ، ولا كانت تفرض على الجماهير نوعا من تقديس الفرد والانصياع لمشيئته بدون وعى .

ان شخصية عبد الناصر شخصية شعبية صميمة ، نابعة من قلب الشعب نفسه ، ويلمح فيها البطولة الفلاحون والعمال والناس العاديون الذين يعملون فى شجاعة وصمت وتفان واصرار على بلوغ الهدف مهما تكن التضحيات .

ولان شخصية الرائد الذى قاد شعبنا من قلب شعبنا ، وليس لها من هدف الا الهدف الذى تتجه اليه أنظار شعبنا ، فان هذه الشخصية ظلت طوال السنين ملتصقة بشعبنا تسمع نبض قلبه ، وتطالع أفكاره وتعبر عن ارادته أدق تعبير ، وترفع أهدافه كشعارات للنضال .

وهكذا أصبح جمال عبد الناصر ، بشخصيته الفذة هذه ، ممثلا حقيقيا لشخصية الشعب المصرى ، ولم يعد ممكنا وضع خط دقيق بين شخصية القائد وشخصية الشعب ، لان القائد والشعب كتلة واحدة من الارادة والعزم والاصرار .

وفى فجر ٢٣ يوليو ، عندما اكتشف الشعب شخصية القائد ، لم يكن القائد يمسك بيديه كتابا يحوى نظرية متكاملة عن الثورة والمجتمع ومع ذلك سار الشعب وراء القائد بلا تردد ، كيف حدث ذلك ؟

ان القائد نفسه يفسر هذه الظاهرة النادرة فى تاريخ الثورات فيقول فى ميثاق العمل الوطنى : « ان قوة الارادة الثورية لدى الشعب المصرى تظهر فى أبعادها الحقيقية الهائلة اذا ماذكرنا أن هذا الشعب البطل بدأ زحفه الثورى من غير تنظيم سياسى يواجه مشكلات المعركة ، كذلك فان هذا الزحف الثورى بدأ من غير نظرية كاملة للتغيير الثورى » .

وكما حمل الشعب الاعجاب الشديد لقائده ، فان القائد نفسه كان دائما يحمل الاعجاب الشديد للشعب الذى يقوده .

ويعترف قائد الشعب فى تواضع بأن « الشعب المعلم » هو الذى

استطاع تطوير مبادىء الثورة الستة المشهورة وجعل منها نظرية سياسية متكاملة .

ولماذا فعل الشعب ذلك ؟

لانه أدرك للوهلة الاولى أن الثورة هي ثورته ، ومبادئها الستة هي مصابيح الطريق التي وضعتها قيادة الثورة وهي تخطو أولى خطواتها ، ولأن قائد الثورة هو رائد الشعب ، هو ابن الشعب .

ولم يكن ممكنا أن يشترك الشعب في تطوير المبادىء الستة لو لم تكن الثورة ثورة شعبية حقا . ولو لم يكن قائدها هو رائد الشعب حقا .

ان الثورات تفرض آراءها على المجموع بالنار والحديد والدم ، ولكن الثورة التي قادها رائد شعبنا ، لم تكن ثورة نار وحديد بل كانت ثورة بيضاء تكره الدماء وان كانت لا تضن بدمائها لحماية أهدافها من أعدائها والمتربصين بها .

ويصف الرئيس جمال عبد الناصر الطريقة التي استطاع بها الشعب تطوير المبادىء الستة ، فيقول في الميثاق : « ان هذا الشعب المعلم راح أولا يطور المبادىء الستة ويحركها بالتجربة والممارسة وبالتفاعل الحي مع التاريخ القومي ، تأثرا به وتأثيرا فيه ، نحو برنامج تفصيلي يفتح طريق الثورة الى أهدافها الافتتاحية ، ثم ان هذا الشعب المعلم راح ثانيا يلقن طلائعه الثورية أسرار آماله الكبرى ويربطها دائما بهذه الآمال ، ويوسع دائرتها بأن يمنحها مع كل يوم عناصر جديدة قادرة على المشاركة في صنع مستقبله » .

وهكذا التقت ارادة الشعب الثورية مع ارادة رائده العظيم الذي انبثق من صميم صفوفه ، ولم تعد هناك قوة في العالم تستطيع أن تحفر هوة بين الرائد والشعب العظيم الذي أنجب الرائد العظيم .

وكان التقاء الارادتين العظيمتين في عمل واحد ، كافيا لان يغير وجه الوطن كله .

ولقد بدا وجه الوطن يتغير بالفعل ، ان ملامح مصر تتغير باستمرار وبدلا من تجاعيد أربعة آلاف سنة فوق وجهها العريق ، تظهر الآن نضارة الشباب ، وتتلألأ دماء الصحة والعافية .

ولم يكن بد بعد أن شملت التغييرات كل شيء في حياة شعبنا ، وخاض تجارب « كبرى » خلال السنوات العشر الثورية من أن يقف وقفة عند المعجزات الهائلة التي فرغ منها ، والمعجزات الهائلة التي يتأهب للعمل فيها والفراغ منها خلال سباق عنيد مع الزمن ، وفي ظل المبادىء الاشتراكية العربية التي انطلقت في وطننا مع قوانين يوليو الاشتراكية .

وقد أتاح المؤتمر الوطني للقوى الشعبية وقفة تاريخية لشعبنا أطل منها على أعماله الكبيرة خلال السنوات العشر التي سار فيها مع جمال عبد الناصر ، وخلال السنين القادمة المديدة من قيادته الظافرة .

ان الميثاق بأبوابه العشرة يتضمن الخطوط العريضة للطريق

الثورى الذى يسير فيه شعبنا العربى الى الحرية والاشتراكية والوحدة الكبرى بين أجزاء الوطن العربى من المحيط الى الخليج .

ويتضمن الميثاق كذلك الخطوط العامة للتحالف بين القوى الشعبية العاملة ، من العمال والفلاحين والوطنيين من الفئات الاخرى من اجل اقامة الاشتراكية العربية وحمايتها من التسلل الرجعى المخرب .

وهذه الخطوط كلها ليست حواجز جامدة لا يمكن تخطيطها ، انها خطوط عريضة وعميقة حقا ، ولكنها ليست اغلالا فى الارجل تمنعها من السير الحر طبقا للظروف التى يخلقها العمل نفسه .

وقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك فى الميثاق الوطنى بقوله يصف ارادة الشعب بأنها « ارادة تغيير ثورى، ترفض أى قيد أو حد الا حقوق الجماهير ومطالبها » .

ومعنى هذا ان الميثاق الوطنى سيكون دليلا هاديا فى بناء أجهزتنا التى ستجعل من الاشتراكية حقيقة باذخة فى بلادنا .

وفى الميثاق يرتسم الفكر الاشتراكى العربى الحر ، المفترح على حد تعبير الميثاق لكل التجارب الانسانية .

والميثاق ، فى جوهره ، اعلان لثورة عربية متجددة ، خلاقة لا تخمد ، ثورة للحرية والاشتراكية والوحدة .

ويفرض عليها طريقها الطويل أن تكون ثورة دائمة ، أو متجددة على الأقل ، لان الثورة هى « الوسيلة الوحيدة التى تستطيع بها الأمة العربية أن تخلص نفسها من الاغلال التى كبلتها ومن الرواسب التى اثقلت كاهلها » .

وثورتنا تدرك جيدا أن أسلوب المصالحة مع الاستعمار لم يعد هو طريق الحرية بدليل انتصارنا فى حرب مسلحة ضد الاستعمار العالمى سنة ١٩٥٦ .

ومن ناحية أخرى تدرك ثورتنا أن بناءها الاشتراكى كما جاء فى الميثاق «لم يعد حتما عليه أن يلتزم التزاما حرفيا قوانين جرت صياغتها فى القرن التاسع عشر » .

وهكذا يرسم الميثاق الذى أعلنه عبد الناصر خطين لنضال الثورة المصرية العربية :

— فى النضال من أجل التحرر لا مصالحة مع الاستعمار وعملائه الرجعيين .

— فى النضال من أجل الاشتراكية : لا التزام بمناهج أجنبية للعمل الاشتراكى ، مع مراعاة ما اشار اليه الميثاق من الفكر المفتوح لكل التجارب الانسانية .

أما الخط الثالث لنضال الثورة العربية ، وهو « الوحدة » فان الميثاق يقول عنه : « والامر كذلك فى تجربة الوحدة ، فان النماذج السابقة لها فى القرن التاسع عشر ، وأبرزها تجربة الوحدة الألمانية

وتجربة الوحدة الايطالية ، لم تعد تقبل التكرار - وأن اشتراط الدعوة السلمية واشتراط الاجماع الشعبي ليسا مجرد تمسك بأسلوب مثالي في العمل الوطني ، وانما هما فوق ذلك ، ومعه ضرورة لازمة لحفاظ على الوحدة الوطنية للشعوب العربية » .

وهكذا يرسم الميثاق للوحدة العربية بين الشعوب العربية طريقها العربي الذي لا يقلد الطرق التي سارت فيها شعوب أخرى من قبل ، فكانت طرقا مصبوغة بدماء القتلى وجثثهم ، وعلى جوانبها دارت معارك اشتركت فيها الجيوش لتفرض الوحدة فرضا .

ان طريق الدماء ليس طريقنا الى الوحدة ، هكذا يؤكد الميثاق

على أن الميثاق الذي قدمه البطل عبد الناصر للشعب العربي استطاع أن يتضمن الى جانب كل ذلك أشياء جديدة كثيرة تعتبر ثقافة جديدة لعهد جديد .

ولعله لا بد من وقفة نلقي الاضواء على ذلك الميثاق الذي قدمه عبد الناصر للشعب العربي .

فالثقافة الجديدة التي قدمها الميثاق هي أبرز نقاطه ، بل هي المحور الرئيسي الذي ستدور حوله حياتنا ، أي حياة الشعب خلال سني الكفاح القادمة .

فالثقافة انعكاس للاوضاع الطبيعية ، ولقد ظلت ثقافتنا خلال عشرات السنين الماضية انعكاسا لوجود الاستعمار في بلادنا وانعكاسا لسيطرة الاستعمار والاقطاع .

لقد ظل الشعب المصري يكافح سنين طويلة في سبيل اقامة مجتمع جديد ، ولكن الاستعمار والاقطاع كانا يضربان بعنف كل محاولة تهدف الى بث الثقافة التي تؤدي الى هذا التغير والتحول .

وأقام الاستعمار والاقطاع حولنا سورا ضخما ليحجب عنه ثقافات العالم حتى نظل عميانا عن التطور الذي يهز العالم ، ثم فرض علينا ثقافته ، فظلت الجماهير الغفيرة جاهلة متأخرة عن التطور الذي يهز العالم ، كما ظلت فئات المثقفين محصورة بين سطور الكلمات التي تدعم حكم الاستعمار والاقطاع .

واليوم بعد أن تخلصنا من الاستعمار والاقطاع في مصر وتغيرالوجه الاقتصادي ، كما تغير البناء الاجتماعي ، كان لابد أن تكون لنا ثقافة جديدة تعبر عن هذه الاوضاع الجديدة ، وجاء الميثاق انعكاسا للنظام السياسي وانعكاسا للاوضاع الاقتصادية الجديدة التي حدثت خلال السنوات العشر الماضية ، والتي توجت بصدور قوانين يوليو ١٩٦١ ، ثم مهد الميثاق في الوقت نفسه لخلق ثقافة جديدة تتلاءم مع أوضاعنا الجديدة ، وعندما تستكمل هذه الثقافة مقوماتها ، سنجدها من ثم تؤثر في أوضاعنا .

لقد كشف الميثاق لنا لاول مرة عن معاني الصراع الطبقي ، كمافسر لنا تاريخنا على أساس علمي ، وتحدث عن حتمية الحل الاشتراكي ،

ثم مشكلات السلام والحياد الايجابى ، ثم ربط الميثاق بين هذا كله وبين تطور الشعب .

ولهذا فالميثاق فتح جديد لثقافة جديدة ، تقوم مقام الثقـــافة الاستعمارية الاقطاعية التى انهارت بانهيار النظام الذى كان سائدا قبل يوليو ٥٢ .

وهذا مايوضح لنا ماقصده الرئيس فى قوله عن أزمة المثقفين التى أثيرت كثيرا من قبل : انها أزمة طبقية وليست أزمة ثقافة .

وليس معنى ذلك أن هــذه الثقافة منعزلة عن التراث الانســانى الضخم بل هى امتداد وتطوير له ، ولكنها تنبذ كل المعانى التى حاولت العناصر الرجعية ان تلصقها بالانسان لتعوق تطوره عن تحقيق امانيه .

فما الفلسفة ؟

ليست الفلسفة كما حاولت الثقــافة الرجعية أن توهمنــا ، هى المناقشات التى لاجدوى لها أو لامعنى لها ، ولكن الفلسفة أبسط من هذا ، انها نظرة الانسان الى الحياة ، هذه النظرة التى تمتد الى تصرفات الانسان نحو نفسه ثم نحو أسرته وأخيرا نحو المجتمع الذى يعيش فيه .

ولقد اغرقتنا الرجعيــة والاستعمار فى فلسفات مثالية لاتربطنــا بالواقع الذى نعيشه ، واستطاعت أن توهمنا بأن الواقع لايمكن تغييره . وبثت فينا روح التواكل والاستسلام للاقدار و . . . وعاشت الرجعية لتلتهم هى نفسها الواقع وتتخم بما تنتجه الارض ومايبذله العامل .

وارادت لنا أن نعيش على أوهام «كسب ورقة اليانصيب» أوأحلام الثراء المفاجىء .

وعندما أوشكت هذه الفلسفة أن تنهار ، حاول الاستعمار من جديد أن يغرقنــا فى نوع جديد من الفلسفة الوجودية .. لكى تؤدى بنا الى أحط أنواع الانحلال وبذلك تضعف فينا روح المقاومة وعزيمة الكفاح .

وجاء الميثاق ، لم يأخذ عبد الناصر فيه بالفلسفة المثالية بل حطمها ، كما لم يأخذ بالمادية الجدلية كلها ، بل أخذ منها بعض أوجهها كما أضاف اليها بعض القيم الانسانية من الفلسفة المثالية ، وهكذا جاء الميثـــاق بفلسفة مستمدة من الحياة ، فلسفة تضع التجربة فى المقام الاول ، وبذلك رسم الميثاق طريقا لتغيير حياتنا دون أن يتجاهل واقعنا ، كما انه يعمل على تغيير الواقع دون أن يتجاهل حياتنا .

هذه هى الفلسفة الجديدة التى يقدمها الميثــاق لتحل محل فلسفة التواكل أو الانحلال ، أو الاستسلام أمام الواقع .

انها فلسفة تدفعنا الى العمل فى اطار حياتنا الجديدة . وتحدد نظرتنا الى الحياة حتى نستطيع أن نغير الواقع المرير الى حياة أفضل .

لقد أكد الرائد العربى ارادة الانسان ، وقدرته على تغيير حياته .

لقد كنا نسمع من يقول ونحن نتحدث عن الفلاح «ان الفلاح راض بحياته» أو « الفلاح طول عمره كده » واذا تناولنا العامل بالحديث قيل « والله الفيش نابدة » واذا تحدثنا عن الفوارق بين الطبقات أسرعوا قائلين « انتم عايزين تغيروا المكتوب أهو كل واحد وحظه » ٠

وجاء الميثاق ليشجب كل هـــــذا وليضع ارادة الانسان في مكانها اللائق وليؤكد قدرة الفرد وليعيد للانسان ثقته في نفسه وفي المستقبل ٠

وكان الشكل السياسي والاقتصادي للدولة قبل ثورة ١٩٥٢ نظاما اقطاعيا واستعماريا في المقام الاول ، وكانت القوى المسيطرة هي القوى الاقطاعية الممثلة في النظام الملكي وكبار ملاك الاراضي الزراعية ووراءهم جيوش الاستعمار تحميهم وتشد أزرهم ٠

وجاء عبد الناصر ليغير هذا كله ، وبمعنى أدق جاء الميثاق بنظرة سياسية جديدة لبناء اســــاس سياسي جديد يحل محل النظام السياسي القديم الذي انهار ٠

ولقد كانت الدولة فيما مضى تعتمد على الاستعمار في حماية نفسها من أي عدوان خارجي أو أية ثورة داخلية ، وكان العدو الخارجي للاستعمار هو نفسه العدو الخارجي للاقطاع ، وكان ذلك يحدث بالتبعية ، ولهذا كان وجود جنود الاحتلال ثم المعـــاهدات نتيجة طبيعية لسيطرة الطبقات الرجعية ٠

وبعد انهيار هذا النظام الاستعماري الاقطاعي ، كان لابد للدولة من نظام سياسي يحميها ضد الاعداء ، وجاء الميثاق ليحدد النظام السياسي الجديد ، وهو نظام يقوم على أساس تكتل كل قوى الشعب ضد العدو المشترك ٠

ان النظام السياسي الجديد الذي يقوم على تجميع كل فئات الشعب في الاتحاد الاشتراكي والذي نص على وجوب تمثيل العمـــال والفلاحين بنسبة ٥٠٪ في المجلس النيابي القادم انما عمــــل على تكتل كل القوى المعادية للاستعمار في جبهة واحدة لمقاومة العدو المشترك ٠ وكمـــا نظر الميثاق الى الواقع السياسي الداخلي الذي نعيش فيه وعمل على وضع أساس جديد يخلف النظم البالية كذلك وضع الميثاق أساسا جديدا لسياستنا الخارجية فجاءت تعبيرا صادقا ومعبرا عن الواقع ، سواء كان ذلك بتحررنا من التبعية للاستعمار ، أو تقديره الواقعي للقوى التي تلعب دورها في المجال العالمي ومدى تحركها معنا ، فوضع الميثـــاق لأول مرة في حياتنا تقديرا حقيقيا لمدى تفوق المعسكر الشيوعي وأثر ذلك في تطورنا ٠

وثمة ثقافات أخرى كثيرة عرضها الرائد العربي في الميثاق ٠

ولعل أبرز مافي الميثاق ، انه وضع الاساس النظري لقوانين يوليو ٦١ فقضى بذلك على المفهوم التقليدي للاقتصاد ، كمـــا قضى على تبعيتنا لمدارس الاقتصاد الغربي ، فكشف الميثــــاق عن عيوب وأخطار وأخطاء النظريات التي تنادي بالحرية الاقتصادية ، وأوضح أن هذه الحرية معناها

تبعية الشعوب المتحررة حديثا لنظام الاستغلال الغربي . كما قضى الميثاق على حرية استغلال الفرد داخل وطنه ·

لقد نامت الرأسمالية على انقاض الاقطاع . واستطاعت في لحظات نموها أن تعمل على نمو الانتاج . ولكن هذا النظام تحول الى عملية سرقة ونهب للشعوب عن طريق الاستعمار ، كما فرق بين أبناء الوطن الواحد بأن جعل بينهم سادة يملكون المال وعبيدا يعملون تحت وطأة الحاجة ·

وجاء الميثاق ليمزق قناع هذه النظم الاقتصـــــادية وليكشف عن حقيقتها وليقضى على نظريات الاستغلال ·

لقد كان النظام الاقتصادى التقليدى يفرض على مصر أن تكون مزرعة قطن « للنكشير » ، واستطاعت أسس هذه النظريات أن تقنعنا بأننا بلد زراعى وان امكانيات التصنيع في بلادنا غير متوافرة . وقضى الميثاق على هذه الخرافات ورسم الطريق لاساس اقتصادى جديد ·

وكان الاقتصاد التقليدى الذى يدرس في معاهدنا وجامعاتنا ينظر الى جهد الانسان وعمله على أنه سلعة ، وبذلك جعل العامل جزءا من الآلة وليس طاقة بشرية . فنص الميثاق على أن العامل هو سيد الآلة ·

لقد أوضح عبد الناصر بما لا يدع مجالا للشك أن الطريق القديم للنمو الاقتصادى القائم على نظريات الاقتصاد الرأسمالى طريق مقفل وان نهاية هـــذا النظام قد اقتربت ، ولم تمض الا أيام حتى شاهدنا الازمة الطاحنة التى تجتاح الاقتصاد الغربى والانهيـــار الذى أصاب الشركات والاسهم ·

لقد كشف الميثاق القناع عن نظريات الاستغلال ، ووضع مكانها أسسا جديدة لتطبيق الاقتصاد الاشتراكى الذى يخدم الفرد ويعمل على التنمية دون استغلال ، ويمضى في دورته دون أزمات دورية أو مفاجئة ·

ولهذا أعلن الميثاق أن الاشتراكية التى نتبعها اشتراكية علمية ·

ثم كان القانون في الميثاق ، وقد تعلمنا من قبــــل أنه اذا سرق الجائع رغيفا أدانه القانون ووضعه في السجن · أما اذا حول الملك أموال الاوقاف الخيرية الى أمواله الخاصة فالقانون يحميه · والعامل أو الفقير الذى يسرق لشراء دواء لابنه ينبذه المجتمع باسم القـــــانون أما صاحب رأس المال الذى يسرق جهد العمــــــال ليبنى ملايين الجنيهات فالقانون يحميه والمجتمع يبجله ·

هذا القانون الذى وضعته الطبقات الرأسمالية في أثناء تطور نمو الرأسمالية في أوروبا لحماية جشعها ، والذى نقلناه الى محاكمنا يجب أن يتغير ، وهذا ما نص عليه الميثاق ·

ان القانون يجب أن يكون في خدمة الناس جميعا ، لا أن يكون أداة في يد طبقة لاستعباد واســـــتغلال طبقة أخرى ، ولهذا كان لا بد من تغيير القوانين حتى نبسط للفقير حقه في الحيـــاة ، فاذا أخطأ بعد ذلك

وجبت محاكمته ٠ اما أن نسلبه لقمة العيش ونحاكمه على سرقتها ، فهذا يتنافى مع أبسط المعانى الانســـــانية ، وأما أن نحرمه العلاج والدواء ونحاكمه اذا أراد أن ينتزع حقه في الحياة ، فهذا ظلم اجتماعى لا يمكن أى قانون عادل أن يأخذ به ٠

ان القانون المدنى والقانون الجنائى والاجراءات التى تتخذ فى المحاكم لتعقيد الامور أمام الفقير لاسترداد حقوقه ، هذه القوانين التى أخذناها عن الدول الرأسمالية والتى كانت تهدف الى حماية فئة الرأسمالية وهى تنزع حقوق الجماهير فى الحياة ، هذه القوانين أصبحت من اليـــــوم موضع نظر ، فهى لا يمكن أن تتلاءم مع أوضاعنا الجديدة ، وتطورنا نحو المستقبل ٠

فحماية القانون يجب أن تكون لملايين الناس ٠ لا أن يكون القانون اداة استغلال وبطش في يد قلة من الاستغلاليين ٠

ودرس آخر جديد يقول :

« العامل سيد الآلة »

وهذه الكلمة البسيطة تحمل فى طياتهـــا الكثير من التغيرات التى حدثت وتحدث فى مجتمعنا منذ ثورة يوليو ٥٢ ٠

لقد كان العامل في المـــاضي عبدا للآلة ، فاذا توقفت الآلة توقف عمله وانقطع أجره ، واذا زادت الآلة من انتاجها زاد أجره ، واذا حدثت ازمة وأرغمت الآلة على الصمت توقفت حياة العامل ٠

كل هذا كان يحدث نتيجة لنظام الاستغلال القائم على تقديس رأس المال وامتيازات أصحاب رءوس الاموال ٠

وجاء الميثاق ليضع الأسس النظرية للتغييرات الاجتماعية التى حدثت خلال السنوات العشر الماضية ٠

ملايين الفلاحين أصبحوا يملكون الارض ، وآلاف العمال ينتظمون داخل المصانع ، وهكذا دخل الملايين الى المجتمع أسيادا وليسوا عبيدا ٠

لم يعد المجتمع هو جماعة الاثرياء وأصحاب القصور ، بل تغير وجه المجتمع واحتل العمال والفلاحون المكان اللائق بهم ، وليس معنى ذلك أن العمال والفلاحين أصبحوا فى مكان الاقطاعيين والرأسماليين ، ولكن النظرة الجديدة للمجتمع هى المساواة بين الناس جميعا ٠

وهكذا وضع عبد الناصر الاسس ليقرر المساواة ، فالانسان الذى يولد فى الحياة متساويا فى كل شىء ثم تجعل الثروات من البعض عبيدا للبعض الآخر ، هذه النظرة تتحطم لتحل مكانها أسس جديدة للمجتمع أسس تحترم الانسان وتسوى بين البشر ، ولن يكون هناك فضل لانسان على أخيه الانسان الا بعمله ٠

فالميثاق يضع أسس العلاقات الجديدة ، فالاحترام لن يكون لصاحب

العربة الفخمة أو القصـــور الكبيرة ، ولكن احترام الناس بعضهم لبعض سيتوقف على مقدار عملهم وجهدهم فى سبيل خدمة المجموع ٠

ويقضى الميثاق على الامتيازات الطبيعية ، كما يقضى أيضـــا على التفرقة بين العمل اليدوى والعمل الفكرى ، وبذلك يرفع العمل اليدوى الى مستواه اللائق به ٠

كما يقضى الميثاق على العناصر الطفيلية التى تعيش على جهد الآخرين دون أى جهد او عمل ٠ ان الميثـــاق يفتح الطريق امام أسس جديدة للعلاقات ويضع الخطوط الاولى لقيم أخلاقية جديدة ٠

والميثاق يؤكد الثقة بالشعب ، وليس لنا أن نخاف رواسب الماضى لنعتقد أن الشعب لم يصل بعد الى المستوى الذى يجعله ذا كفاية لحمل المسئولية ٠

وليس هذا الشك أو الخوف مقصورا على ثورتنا ، ففى كل الثورات التى حدثت عبر التاريخ نجد قادة فكريين وسياسيين يقفون مترددين فى ذعر وخوف مشفقين من قدرة الشعب على تحمل المسئولية ٠

ولكن الذى كان يحدث ، ان الشعب كان يحمل المسئولية كاملة على حين ينتكص الذين كانوا يشفقون عليه تماما كما أن وقوف الشعب بعيدا عن العمل السياسى والفكرى لم يكن نتيجة قصور بل كان هـــذا يحدث تحت تهديد السلاح وبطش الطغاة ٠

والسياسة ليست الا العمل فى سبيل الجماهير ، والجماهير التى تعرف حقها كاملا والتى خاضت معارك عنيفة عبر التاريخ ضد الاقطاع والاحتكار كفيلة بأن تتقدم لتحمل المسئولية ٠

ان الايمان بالشعب ليس مشكلة الشعب ، ولكنه مشكلة أصحاب النظريات ٠ ولقد حسم الميثاق المشكلة بأن أزاح من أمام الجماهير العوائق التى كانت تسد الطريق أمامهم ٠

ولم تكن هذه هى وحدها كل الدروس الثقافية الجديدة التى قدمها رائد الفكر العربى فى الميثاق ، فثمة أشياء أخرى كثيرة ٠

يقول عبد الناصر فى الميثاق :

« ان الاشتراكية العلمية هى الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم ، ان أى منهاج آخر لايستطيع بالقطع أن يحقق التقدم المنشود »

بهذه الكلمات الحاسمة ، حدد الرئيس طريقنا الى الاشتراكية فلم يعد هناك مجال للاستفسار أو السؤال ٠

فالاشتراكية التى نتجه اليها لا تقوم على النيات الحسنة أو الهبات ولكنها تقوم على أساس علمى له شكله السياسى وتخطيطه الاقتصادى ٠

فكما يقول الميثاق ٠

« ان التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة » ٠

ولذلك

« ان التخطيط الاشتراكى «الكفء» هو الطريقة الوحيدة التى تضمن استخدام جميع الموارد الوطنية ، المادية والطبيعية والبشرية بطريقة عملية وعلمية وانسانية لكى تحقق الخير لجموع الشعب وتوفر لهم حياة الرفاهية » .

فالفكر العربى الآن مسئول عن دراسة وفهم الاشتراكية العلمية.

وكما ينص الميثاق :

« ان التجارب الاجتماعية لا تعيش فى عزلة بعضها عن بعض ، وانما التجارب الاجتماعية ، كجزء من الحضارة الانسانية ، تعيش بالانتقال الخصب وبالتفاعل الخلاق » ٠

« انها قابلة للانتقال لكنها ليست قابلة لمجرد النقل ، قابلة للدراسة المفيدة ، لكنها ليست قابلة لمجرد الحفظ عن طريق التكرار ».

بهذا التوضيح يتبين موقفنا من الاشتراكية العلمية ، فمهمة الفكر العربى اليوم هى العودة الى التراث الاشتراكى لنتبين من خلاله طريقنا بالدراسة والشرح ٠

وننتقل من الاشتراكية العلمية الى الصراع الطبقى. فالاشتراكية العلمية هى التى تفسر لنا معنى التطور التاريخى خلال الصراع الطبقى .

ولقد ظلت كلمة الصراع الطبقى محظورة من القاموس السياسى ممنوعة من التداول ، محرمة فى المناقشات ، ولم تبدأ فى احتلال مكانها الا منذ سنوات الثورة ، ثم جاء الميثاق ليؤكد وجودها .

ولعل الاشاعات والاكاذيب والتفسيرات المضللة الخادعة هى التى جعلت كلمة الصراع الطبقى من المحظورات .

فكلمة الصراع الطبقى ظلت مرتبطة بالصراع الدموى ، وكأنهما متلازمان . والحقيقة ان الصراع الطبقى ليس معناه اطلاقا الصراع الدموى ولكن الاستعمار شاء أن يربط بين المعنيين حتى يحجب عنا الحقيقة .

وحقيقة أن كلمة «الصراع الطبقى» تعطينا تفسيرا للتطور التاريخى: فالاحتكار طبقة ، والاقطاع طبقة ، والرأسماليون طبقة ، والعمال طبقة، والفلاحون طبقة ، والصراع بين هذه الطبقات هو تطور التاريخ .

فكلمة الصراع الطبقى تكشف لنا عن حقيقة عداوة الاحتكار العالمى أو الاستعمار للطبقات الوطنية والشعبية الشريفة ، كما تكشف لنا أيضا عن سر ارتباط الاقطاع والنظم الملكية الرجعية بالطبقة الاحتكارية العالمية .

وهي في الوقت نفسه تكشف لنا عن ميزات ارتباط الطبقات الوطنية والشعبية في صراعها ضد قوى الاستعمار والرجعية .

أما الصراع بين الطبقات الرأسمالية الوطنية والطبقات الشعبية فالطريق الاشتراكي يتيح الفرص لحل الصراع الطبقي سلميا بطريق اذابة الفوارق بين الطبقات .

وعلى هذا الاساس يتبين لنا ان كلمة «الصراع» لاتعني اطلاقا الصراع الدموي ؛ فهناك صراع في الفكر ، وصراع في الراى ، وهناك الصراع ضد الامراض والصراع ضد الجهل .

ولكن الاستعمار والرجعية شاءا أن يجعلا من الصراع الطبقي صراعا دمويا من أجل حجب الحقيقة عن الشعوب .

((فالميثاق)) الذى تحدث عن الصراع الطبقي لحله سلميا انما يفتح الطريق أمامنا لمنهج جديد في البحث والدراسة واعادة كتابة تاريخنا ، ومشكلاتنا الاقتصادية على هذا المنهج العلمي ، كما انه يفتح الطريق من جديد لتفهم ثورتنا على حقيقتها ، حتى نستطيع أن نلبي مطالبها في هذه المرحلة الهامة والحاسمة من تاريخنا .

ويجر الحديث عن الصراع الطبقي الى ما تناوله الميثاق عن المعسكر الشيوعي .

فانجلترا تعترف بالصين وتتبادل معها كل ما تريد سواء أكان اقتصاديا ام ثقافيا .

وانجلترا اعترفت بالاتحاد السوفيتي بعد ثورة أكتوبر الشيوعية بسنوات قليلة .

والغرب كله يعترف بالمعسكر الشيوعي ويتعايش معه سياسيا واقتصاديا وثقافيا .

أما نحن فلم نعترف بالاتحاد السوفيتي الا عندما سمحت لنا انجلترا بذلك خلال الحرب العالمية الثانية .

ولم نعترف بالصين الشعبية الا بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

وكانت كلمة المعسكر الشيوعي ترعب الساسة ، وتخيف المفكرين وترهب أصحاب الأقلام .

وخلال سنوات طويلة لم تكن نعرف أو نعلم عن المعسكر الشيوعي الا الخرافات والاكاذيب التي يطلقها المعسكر الاستعماري أو اذنابه من الرجعية .

وعلى الرغم من العلاقات التي توطدت في السنوات الاخيرة بين الجمهورية العربية والمعسكر الشيوعي سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم علمية فان الاعتراف بهذا المعسكر كقوة لها مكانتها في العالم سواء أكان عسكريا أم اقتصاديا كان يتردد في همس وخوف وكأن الحقيقة يجب أن توأد .

ولقد كان من البديهي ان يعمل الاستعمار على عزلنا عن المعسكر الشيوعي لينفرد بنا ويتحكم فينا ويسيطر علينا ، وبذلك نظل أسرى املاقاته الاقتصادية ، خاضعين لارهابه العسكري، مستسلمين لعدوانه.

ولكن هل يمكن بعد تحررنا أن نظل في هذه الاوضاع الذليلة لانتحرك ولا نعرف شيئا عن المعسكر الشيوعي الا ما يمليه علينا الاستعمار بمفاهيمه المسمومة .

لقد تحركنا كثيرا ، وتحررنا من أوهام كثيرة ، ولكن آثار الماضي كانت ما زالت مسيطرة على كثير من القطاعات وجاء الميثاق ليعلن :

« ان أبرز التغييرات التى طرات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يمكن تلخيصها فيما يلي :

أولا ـ تعاظم قوة الحركات الوطنية .

ثانيا ـ ظهور المعسكر الشيوعي كقوة كبيرة .

ثالثا ـ التقدم العلمي الهائل .

وهكذا يعلن الميثاق أن ظهور المعسكر الشيوعي كقوة كبيرة يتزايد وزنها المادي والمعنوي يوما بعد يوم في مواجهة المعسكر الراسمالي يعد من التغييرات الضخمة التى أتت معها بظروف جديدة تؤثر تأثيرا لاجدال فيه على العمل من اجل أهداف النضال الوطني لكل الامم ، بما في ذلك من أهداف الأمة العربية .

هذه الكلمات الصريحة الواضحة ، تفتح الطريق أمام الحقيقة المرهوبة لتشق طريقها في مجالنا السياسي والثقافي والعلمي .

فالمعسكر الشيوعي الذي يتزايد انتاجه الاقتصادي في المجال العالمي والذي بلغ هذا التفوق العلمي الكبير ، لم يعد في الامكان انكاره والا عشنا في عزلة سخيفة .

والميثاق الذي تحدث بصراحة في هذا الموضوع ، انما يطالبنا أن نتابع التطورات التى تحدث في المعسكر الشيوعي كما عودنا أن نتابع تطورات المعسكر الغربي .

ولم يعد أمام أصحاب الفكر والقادة الشعبيين الا أن يتلفتوا الى هذه التطورات المادية والمعنوية لينقلوا آثارها الى جماهير الشعب .

ويتحدث عبد الناصر في الميثاق عن الاستعمار فيقول :

« ان الاستعمار الذي ما زال متمسكا بأهدافه ، غير أسلوبه » .

وهكذا يؤكد لنا أو يذكرنا بأن المعركة ضد الاستعمار لم تنته بعد، وأن التناقض الرئيسي مازال متمسكا بأهدافه لن يلجأ الى العدوان المباشر كما فعل في حرب السويس ، ولكنه غير أسلوبه ، ولذلك فان اليقظة والحذر من اهم متطلبات المرحلة الحالية في كفاحنا من أجل تطور حياتنا وبناء مستقبلنا .

وهذا التحديد من الرئيس فى الميثاق انما يرسم المنهج ويضع حدا للجدل الذى ثار منذ نهاية حرب السويس : هل انتهت المعركة ضد الاستعمار أو مازالت قائمة ؟

وحسم الميثاق الجدل ؛ ولذلك يجب أن نضع فى مجالنا الفكرى والسياسى والعملى التخطيط اللازم لمواجهة مؤامرة الاستعمار وأعوان الاستعمار ، فان حماية البناء الاشتراكى تتطلب اليقظة ضد المؤامرات والعمل لكيلا تمتد النكسة التى حدثت فى أجزاء من العالم العربى .

ان الاستعمار لن ينتهى الا بالانهيار التام ، والذين ربطوا حياتهم بحياة الاستعمار لن ييئسوا فى استرداد ما فقدوه الا عندما يستسلم الاستعمار نهائيا ، ولن يستسلم الاستعمار الا عندما ينتهى بناؤه الاحتكارى على أبشع أنواع الاستغلال وغزو الاسواق .

فاذا كنا نؤمن :

« أن التقدم عن طريق النهب أو التقدم عن طريق السخرة لم يعد أمرا محتملا فى ظل القيم الانسانية الجديدة » .

يجب أن نذكر دائما أن هناك من لا يزال يؤمن بالتفرقة بين الناس ، وأن هناك نظما مازالت تعيش عن طريق النهب والسخرة . ويجب أن ننتبه دائما حتى لانقع بين أيدى الوحوش البشرية من مصاصى الدماء وأكلة لحوم البشر ، والذين يتلذذون بشرب عرق الآخرين ونهب قوتهم .

والحديث عن الاستعمار ، يجرنا الى تناول مشكلة الرجعية وهى التى لم يغفلها الرئيس فى الميثاق بل أعلنها صريحة :

« ان الرجعية مازالت تملك من المؤثرات المادية والفكرية ماقد يغريها بالتصدى للتيار الثورى الجارف خصوصا فى اعتمادها على الفلول الرجعية فى العالم العربى ، المسنودة من جانب قوى الاستعمار .

ان اليقظة الثورية كفيلة — تحت كل الظروف — بسحق كل تسلل رجعى مهما كانت أساليبه ومهما كانت القوى المساعدة له .

فالرجعية مازالت موجودة ماديا وفكريا ، فهى الاخرى لم تستسلم وان كانت تقبع منكمشة تعمل فى الظلام وترقب الفرصة المناسبةلتسترد أراضيها .

والرجعية فى عجزها لاتتوانى عن بث أفكارها المسمومة بالاشاعات والاكاذيب .

فالرجعية فكر تربى ونشأ وارتبط بالاستعمار والاستغلال ، وهى ذات قيم منحلة لاتتورع عن الانقضاض بأبشع الصور ، ولن تتوانى عن أن تضرب من الخلف لو أتيحت لها ثغرة تنفذ منها » .

ولهذا ، لم يغفل الميثاق التنبيه الى خطر وجود الرجعية ؛ حتىيمكن

أن ينشأ فكر جديد يجتث جذور الفكر الرجعي ، وان تنتبه فى العمل السياسى الى خطورة الرجعية ٠

هذه الحقائق التى عرضها الميثاق مع عشرات من المشكلات والمهام السياسية والاقتصادية والفكرية ، من المسئول عن تبنيها وحمل عبء القيام بها ؟ ٠

لقد نص الميثاق :

« ان الحاجة ماسة الى خلق جهاز سياسي جديد داخل اطار الاتحاد الاشتراكى العربى يجند العناصر الصالحة للقيادة وينظم جهودها ويبلور الحوافز الثورية للجماهير ويتحسس احتياجاتها ويساعد على ايجاد الحلول الصحيحة لهذه الاحتياجات » ٠

فالجهاز السياسي الجديد لابد أن يكون واعيا للدور الذى يقوم به فهو قدوة وليس قيادة فحسب ، فلن تكون مهمته المراقبة بل مهمته هى التوعية والتوجيه والمبادرة الى العمل ٠

وهذا الجهاز لن يستطيع القيام بمهامه الا اذا كان مسلحا فكريا وواعيا للمرحلة التى نمر بها ، مؤمنا بدوره ، واثقا من قدرات الشعب ٠

هذا الجهاز السياسى ضرورة للشعب حتى يجمع الجماهير نحو أهداف الثورة ويدفعها الى البناء بحماسة لبناء الغد ، وهو ضرورى لبث الوعى والفكر السياسى الذى يقود عمل الجماهير ٠

والثورة فى سيرها فى حاجة الى هذا الجهاز الذى يتلقى منها اشارات العمل ، ويتنقل بين الجماهير ليكون الصلة بين قيادة الثورة وجماهير الشعب ٠

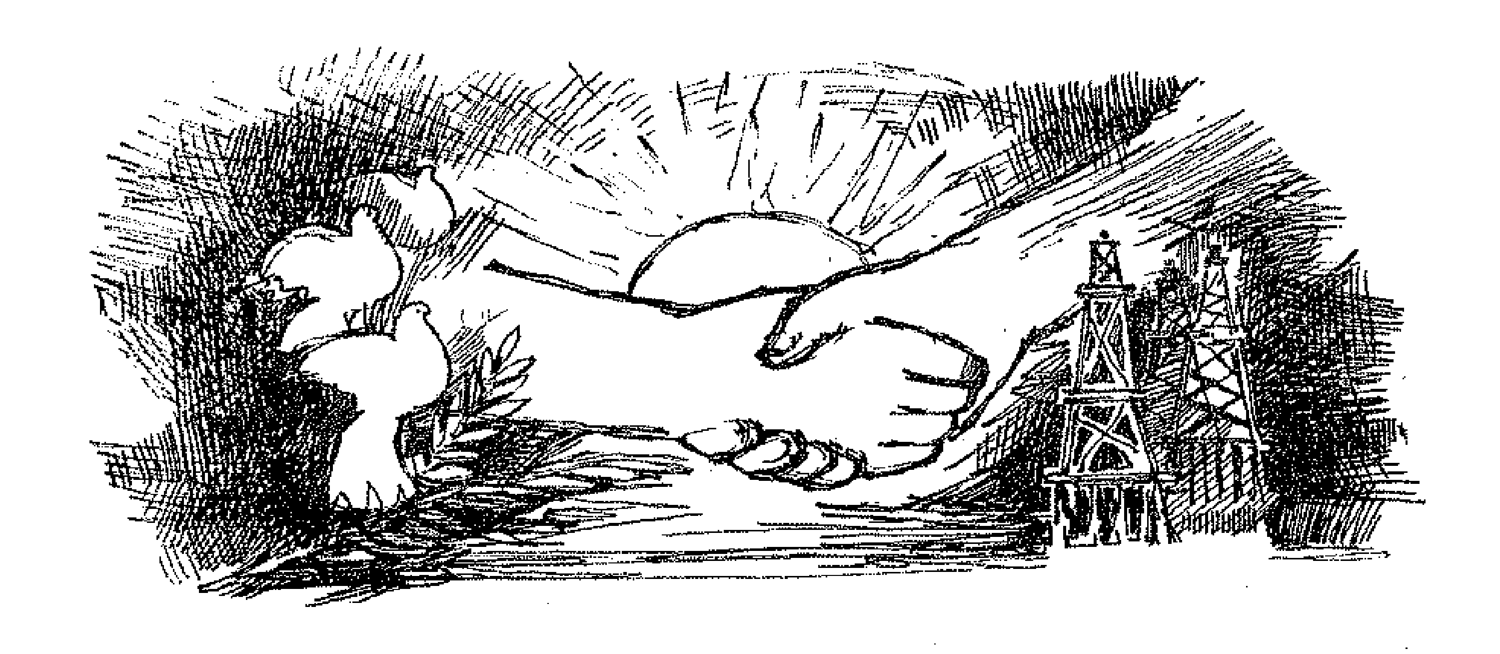
ولن يكون هذا الجهاز أداة للرقابة ولكنه أداة للتوعية وبث الحماسة وتجنيد الملايين لبناء المستقبل الافضل ٠

وبعد ، فان الميثاق كما أعلنه عبد الناصر ، قد بلور كل تجارب شعبنا فى السنوات العشر الماضية ، وفتح الطريق أمام تجاربه فى السنين الطويلة القادمة التى سيخوضها شعبنا مسلحا بايمانه العميق ، وثوريته الاصيلة ، وقيادته المتمثلة فى رائده العظيم ٠

ان الميثاق ، هو ميثاق للعمل ومرشد للكفاح ، ومن أجل ثلاثة أهداف «كبرى» يقودنا اليها جمال عبد الناصر : الحرية والاشتراكية والوحدة ٠

وفى الميثاق ضمان لوضوح النظرية التى ترسم طريق العمل ٠

وفى القيادة المتمثلة فى جمال عبد الناصر ضمان للسير فى طريق العمل بلا تردد ، وهو طريق طويل ، طويل ، ولكن شعبنا لن ينحرف عنه قيد أنملة ، لأن «جمال عبد الناصر» هو رائد الطريق !



قصة الوحدة

منذ أربعمائة عام فرقت بين الشمال والجنوب سنابك خيل الغزاة ، العثمانيين ، وقسمتهما الى «ايالات» عثمانية يحكم كلا منها « باشا » يتلقى الفرمان من استامبول ، ويرسل عرق الشعب وجوعه وحرمانه وشقاءه الى صاحب العرش وغلمانه وجواريه فى استامبول على هيئـــة مجوهرات وذهب وفضة وخيرات يسبح فيها صاحب العرش وغلمانه وجواريه .

ومضت اربعة قرون طوال ، امتصت فيها السلطنة العثمانية دماءنا وفرقت بيننا وصنعت من البلد الواحد عدة بلدان .

ثم جاء الرجل الابيض ، جاء الاحتـــلال الأوروبى ليرث الاحتـلال العثمانى ، ويعزز أسباب التفرقة ويزيد عوامل الانفصال .

واقتطع الاستعمار الاوروبى فلسطين وأعطاها الصهيونية ، وفصـل بذلك أرض مصر عن أرض الشام ، وامتلأ ثقة بعد ذلك بأنه لا لقاء الى الأبد بين دمشق والقاهرة .

ولكن القاهرة ودمشق التقتا بالرغم من أربعمائة عام من الاحتـلال العثمانى ، وبالرغم من قطع الطريق برا بين مصر والشام وتسليمه الى عصابة مسلحة من الصهيونيين .

كيف حدثت هذه المعجزة ؟

ان السماء لاتمطر معجزات على الشعوب ، لان المعجزات دائمـا من صنع الشعوب . ولا يوجد شعب يستطيع أن يصنع المعجزة كما يصنعها السحرة والحواة . فلا بد لكل معجزة يصنعها الشعب من ثمن كبير يؤديه الشعب .

ولكن شعبنا كثيرا مابذل الاثمان الفـــادحة ليصنع معجزة الحرية والاستقلال والوحدة . فلم يجد الى ذلك سبيلا ، ولم يخرج من معاركه الطويلة خلال القرون الاربعة الماضية الا بالجراح الدامية والأمل الخائب واليأس المرير .

ثم آن للمعجزة أن تتحقق .

واستجابت السماء دعاء الملايين من شعبنا فى أجيالهم المتعاقبة عبر

القرون الاربعة الحالكة . استجابت السماء لهم فوهبت لكفاحهم القائد الذى تتحول المعركة على يديه الى انتصار . ويتحول الانتصار الى حرية ، وتتحول الحرية الى معجزة تحقق حلم شعبنا القديم . حلم الوحدة بين الشمال والجنوب .

وهكذا بدأ دور جمال عبد الناصر فى حياة شعبنا ، بعد مخاض طويل فى ظلمات العبودية واليأس والظلم والطغيان .

ان «جمال عبد الناصر» هو الذى صنع هذا الشىء الرائع الذى حدث فى بلادنا لاول مرة منذ أربعمائة عام .

انه هو الذى صنع الوحدة بين الشمال والجنوب ، عندما استجاب لنداء الشعبين السورى والمصرى .

وجمال عبد الناصر لم يبتكر الوحدة بين مصر وسورية ، فان هذه الوحدة صلة موغلة فى القدم بين الاقليمين . وقد كانت موجودة قبل مولد جيل عبد الناصر كله بالوف السنين .

غير ان ارادة الوحدة التى ثارت فى صدور الملايين فى الشمال والجنوب ، لم تجد من يضعها موضع التنفيذ الا جمال عبد الناصر البطل الذى تم على يديه شىء خارق لم يحدث فى بلادنا منذ أربعمائة عام . تمت على يديه معجزة جمعت ممثلى مصر وسورية معا فى عاصمة واحدة ، تحت راية واحدة ، متجهين الى هدف واحد .

ان هذه الوحدة التى فرضها شعب سورية ومصر على ميادنه القومية المؤمنة بأهدافه ، لاينتقص منها تلك النكسة الانفصالية التى قامت وانتصر فى الجولة الاولى منها عملاء الاستعمار .

فالوحدة هى الخطوة المنطقية التى قاد التاريخ شعبنا اليها بشىء يشبه الالهام .

ان شعبنا بغريزته لايخطىء الطريق الصحيح ، لان فى أعماقه الهاما عجيبا يضىء له كل الطرق ، فيعرف أيها أهدى سبيلا ، وأيها يبلغ به هدفه العظيم .

وهكذا اختار الشعب فى سورية ومصر الوحدة لانها طريقه الخاصة، لم يمهدها له أحد ، ولم يشر عليه بالسير فيها أحد ، ولم يعلق له على جانبيها المصابيح أحد .

كل ماحدث هو أن «جمال عبد الناصر» استطاع أن يفتح عيون الشعب العربى على الطريق الصحيح .

وعلى ضوء الهدى الجديد استطاع الشعب أن يرى نفسه ، وطوال الايام الاولى التى استمرت فيها الوحدة تبدلت أحواله تماما . تبدل مصيره . انتهى نحسه القديم . لقد تحول الشعبان الى شعب ينعقد الخير بيديه ، ويفتح له المستقبل جميع أبوابه .

ومع الوحدة ، زادت الصناعات فى سورية ومصر . وكانت تزداد نموا كل سنة ، وراحت الميزانية تتضخم وتكبر وتتسع مواردها ، كما تتسع وجوه نفقاتها لخير هذا الشعب ومصلحته ورخائه ومجده .

وجيشنا أصبح أكبر قوة فى الشرق الاوسط ، وبعد أن كانت اسرائيل « بعبع » العرب الضعفاء ، أصبح العرب بعبع اسرائيل ، لانهم صاروا أقوياء .

ومع وجه شعبنا الذى يبرز وسط هذه الاحداث التاريخية ، يبرز وجه قائد هذا الشعب ، الذى كان مهندس جميع هذه الانتصارات ، وملهم الشعب ، ورائده فى الطريق الذى تقف على جانبيه ذئاب الاعداء تريد أن تتخطف أمتنا السائرة فيه .

وعندما استطاع الأعداء أن ينتكسوا بالوحدة ، وحاولوا أن يمزقوها ويطعنوها ، ثم جدوا فى محاولاتهم خلق صدام بين أبناء الشعب الواحد وقف عبد الناصر وقفته الخالدة .

فوق الآلام ، وفوق الجراح .

وكان هذا هو الموقف التاريخي الكبير للشعب العربى بقيادة زعيمه البطل جمال عبد الناصر ، فى تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ العروبة وتاريخ المعركة التي تخوضها العروبة ضد أعدائها المتربصين بها من الخارج والمندسين بين صفوفها فى الداخل .

ولم يكن هذا الموقف التاريخي الكبير ، مجرد بطولة رومانتيكية للشعب العربي وزعيمه ، فى المناسبة التاريخية العاصفة التى اقتضت هذا الموقف .

فقد انتهى تماما زمن البطولات الرومانتيكية فى دنيا الكفاح العربى، منذ تسلم زمام قيادتهم وزعامتهم جمال عبد الناصر ، البطل الخيالى البطولة ، ولكنه فى الوقت نفسه ، البطل الواقعى الذى يرى بكل وضوح معالم الحقائق حواليه ، ويلمس مادتها الصلبة ، ويتخذ منها المواقف الصحيحة النبيلة ، المتسمة بكل اثارة البطولة الرومانتيكية الرائعة ، ولكن بواقعية تامة ، وعقل واسع عميق خال تماما من الاوهام .

والشامتون من أعدائنا ، كالصهيونيين والاستعماريين والعملاء الذين اعتبروا أن موقف عبد الناصر وشعبه فوق الآلام ، وفوق الجراح ، موقف بالغ النبل الى حد الاقتراب من مواقف الفروسية القديمة ، التى لم تعد الآن مواقف عملية ، هؤلاء الشامتون المعادون للعرب والعروبة ، ولزعيم القومية العربية بوجه خاص ، توهموا أن عبارة عبد الناصر الخالدة التى عبر بها عن ألمه الانسانى الحقيقى الذى لايمكن انكاره ، ثم عبر بها عن تساميه فوق هذا الالم ، توهموا أن هذه العبارة تدل على أن القومية العربية لم تلتصق فى كفاحها بواقع الحياة ، وحقائق العالم الذى يعيش فيه الناس ويتقاتلون ويسفك بعضهم دماء بعض ، ولو كانوا ذوى قربى أو كانوا أخوة أشقاء .

وقد أخطأ أعداء القومية العربية فى فهم نفسيتها ومثلها الأخلاقية الرفيعة ، عندما حققت القومية العربية انتصاراتها الباهرة خلال السنوات العشر الماضية بقيادة جمال عبد الناصر .

فى ذلك الوقت الذى هو على مرمى بصرنا ، ظل أعداء القومية العربية يرمونها بالتعصب العنصرى والاستغلال والوحشية والرغبة فى سفك الدماء .

لهذا رفع الاعداء عقائرهم وكأنهم يحتجون على أن عبد الناصر ، أطلق فى وجه الأزمة الانفصالية الرجعية ، صيحته الخالدة .

«فوق الآلام ، وفوق الجراح» ولم يطلق بدلا من هذه الصيحة النبيلة صيحات أخرى كان أعداء قوميتنا يودون سماعها فى هذه الأزمة الانفصالية التى صنعها أعداء العرب وعملاؤهم .

لو أن عبد الناصر استسلم للمرارة فى هذه الازمة وهو شعور انسانى طبيعى لهلل أعداء القومية العربية ، واتخذوا من ذلك حجة « كبرى » على ما يريدون ترويجه من أباطيل وأراجيف حول القومية العربية وقائدها ورائد كفاحها العظيم .

أما وقد وقف جمال عبد الناصر ، يطلب الى الشعب العربى أن يرتفع ساعة الألم ، فوق الجراح والآلام ، فان الاستعماريين والصهيونيين أبدوا دهشتهم وخيبة أملهم ، لان «جمال عبد الناصر» فى أشد ساعات الأزمة ظلاما ، لم يشأ أن يعطى الظالمين من المستعمرين وعملائهم فرصة .

ولم يكن جمال عبد الناصر ، حين ارتفع مع شعبه فوق الآلام والجراح يمارس بطولة رومانتيكية مجردة ، كما يتوهم خصومنا ، بل كان فى الواقع يقف مع شعبه فى مستوى الحادث التاريخى الجسيم الذى وقع .

ان ارتفاع عبد الناصر وشعبه فوق الجراح والآلام ، مواجهة واقعية للحقائق التى اجتمعت فى الأزمة الانفصالية الرجعية التى انفجرت فى دمشق .

ولم يكن ثمة بديل لهذه المواجهة الواقعية للموقف الحادث الا مواجهته بالعنف .

وعندئذ يرفع العربى السلاح فى وجه أخيه العربى ، ويسفك السفيه دم شقيقه .

ولو أن عبد الناصر ، لم يكن شديد الواقعية فى النظر الى الامور ، لانساق وراء نداء العنف ، ولتدفق فوق الارض العربية سيل من الدم العربى .

ولكن عبد الناصر ، يعرف يقينا أن الدم العربى لن يجرى الا فى التحام دموى لتقرير المصير العربى حين يصبح لامفر له من الالتحام بأعدائه المتربصين به فى طريق حريته ووحدته ليمنعوه من بلوغ غاية هذا الطريق الطويل .

وعبد الناصر ينظر الى الامور كلها نظرة شاملة . كأنه ينظر من فوق جبل انه « صقر العرب » الذى يرى لهم وهو محلق فى السماء أبعادا شاسعة ، هى أبعاد مستقبلهم الذى يرتاد لهم طريقه الوعر الشاق .

وهذه النظرة الشاملة للامور . هى التى جعلت عبد الناصر لا يعطى الانقلاب الرجعى الانفصالى فى دمشق أكثر مما له من الخطورة . فقد كان بلا ريب حدثا خطيرا جسيما .

ولكن مهما كانت خطورته وجسامته ، فان النظرة الشاملة للأمور نظرة عبد الناصر . قد وضعت هذا الحادث بكل خطورته وجسامته ، فى موضعه الصحيح بلا زيادة ولا نقصان ، وأدركت بجلاء أنه مامن حادث ضخم ينفجر فى دنيا العرب الواسعة ، يمكن أن يكون على المدى الطويل أكثر من جسر ينهار فوق النهر الجارى للقومية العربية ، ومهما تكن ضخامة هذا الجسر ، ومهما يكن الدور الذى أحدثه عندما انهار . فان من الممكن اصلاح أمره ، ثم مواصلة السير فى الطريق العربى الممتد الى آخر مدى للآمال العربية .

وهكذا لم يكن عبد الناصر عندما طلب الى الشعب العربى أن يرتفع فوق الجراح والالام ، يمارس بطولة رومانتيكية ، كما يزعم أعداء العرب . بل كان يمارس واقعية صرفه ، تلتصق بالواقع الى أقصى حد ، ولا تغفل لحظة عن مقتضيات الواقع .

ان واقعنا القومى كله كأمة عربية تناضل فى سبيل حريتها ووحدتها ، قد فرض موقف الأخوة النبيل الذى وقفه عبد الناصر فى الأزمة الانفصالية الرجعية العميلة للاستعمار . قد ثبتت مواقعها فى الاقليم الشمالى من الجمهورية العربية المتحدة .

وصحيح أن المباغتة الغادرة التى لجا اليها الانفصاليون العملاء ، قد اعطتهم ربحا مؤقتا ، وأكسبتهم أول جولة .

ولكن متى كانت معارك التاريخ الكبرى تتقرر بجولة أولى أو ثانية أو ثالثة ؟

ان عبد الناصر لم يكن يناضل من أجل اتحاد مصر وسورية فقط . فلو كان اتحادهما هو غاية جهاد عبد الناصر ، ماكان لهذه الغاية مضمون ثورى عربى ، ولكن عبد الناصر يجاهد من أجل القومية العربية بأوسع معانيها ، يجاهد من أجل أمة عربية واحدة تتحرر وتستقل وتسلك طريق التطور والعدالة الاجتماعية ، وتساهم فى خدمة النوع الانسانى كله ..

وهذه الرسالة الكبيرة ، التى قلما حمل مثلها زعيم من زعماء التاريخ لايتقرر مصيرها بعمل طائش تقوم به عصبة مفتونة باغية لا ترى الا مصالحها الشخصية فى أضيق الحدود ، بغض النظر عن جميع مصالح الشعب الكبرى .

ولهذا فان انتصار عبد الناصر سيجتاز طريقا طويلا مليئا بالعواصف والحواجز والمفاجآت والتضحيات والالام والجراح ٠

وقد عقد عبد الناصر عزمه على أن يرتفع دائما فوق كل هـذه الآلام والجراح والتضحيات ، ويتخطى دائما حواجز الطريق ، ويصمد لعواصفه ، ويتمالك جأشه أمام مفاجآته ٠

فهذه الآلام والتضحيات والحواجز هي علامات الطريق النبيل الذى يسير فيه عبد الناصر ٠

وقد اعتاد منذ عشر سنوات أن يرى هذه العلامات فى طريقه ، فـلا يتوقف عندها ، انه فقط يذللها أو يزيلها أو يهزمها ، ولكنه لايقف عندها، ولا يفكر فى الوقوف ٠

والذين دهشوا للثبات الرائع الذى أبداه زعيمنا البطل فى مواجهة غدر العصبة الانفصالية الرجعية ، كان مبعث دهشتهم انهم لم يستطيعوا أن يعيشوا تجربة عبد الناصر ، كما يعيشها هو ٠

ان الثبات فى مواجهة الغدر والخيانة وكل المفاجآت الاخرى ، هو السلاح الذى يهزم به عبد الناصر عقبات الطريق ٠

وعلى هذا الضوء ، نستطيع أن نتبين منذ الآن مصـير الانقلابيين الرجعيين في سورية ٠

لقد نجحوا بعض الوقت فى تحقيق أطماعهـــم ومؤامراتهم وأقاموا لانفسهم حكومات « كرتونية » يرعاها الاستعمار ، ثم انتفض الشعب وطرد الذين قاموا بالحركة ، ولكن الآخرين الذين حلوا محلهم أبوا الا أن يكونوا فى وضع لايحسدون عليه ٠

ولكن

هل انتهت الوحدة ؟

هل أصبحت سورية فى واد ، ومصر فى واد آخر ؟

وهل كان الحديث عن القومية العربية خرافة أو حلما تبخر بمجرد قيام الحركة الانفصالية فى سورية ؟

لقد أجاب الرئيس جمال عبدالناصر على هذه الاســئلة عقب حركة الانفصال بقوله :

« ليس هناك وقت يدعونا للتمسك بعروبتنا أكثر من هذا الوقت »

ثم قال فى اليوم التالى :

« لا بد أن تكون النكسة نقطة بداية لانطلاقــة جديدة من أجل كل أهدافنا » ٠

وهكذا عرض الرئيس المشكلة ، ووضع الحل ٠

فالوحدة ضرورة حتمية فرضها التطور التاريخي للشعب في سورية وفي مصر ولم تكن الوحدة شهوة طارئة أو نشوة غالبة ، ولكنها تمت استجابة لظروف تفرضها وتحتم وجودها ·

ظروف العدوان على مصر التى دفعت الشعب السورى الى نسف أنابيب البترول التي تمر بأراضيه ·

وظروف التجمعات التركية على حدود سورية وتحركات الاسطول السادس الامريكي ومؤامرات الاردن ·

لقد كانت فى مصر حركة وطنية بلغت ذروتها ، وكان فى سورية أيضا حركة وطنيه ملتهبة ، وتعرضت الحركة الوطنية فى كل من سورية ومصر للمؤامرات والعدوان والتهديد ·

فهل كان هناك مفر من وحدة تجمع الشعبين فى نضال واحد ، وكفاح مترابط ضد قوى الرجعية والاستعمار ؟

فالظرف التاريخي أو الأخطار التي كانت تهدد الشعبين هى التى صهرت هذه الوحدة ، وهى التى خلقتها وكونتها ·

فهل انتهت الحركة الوطنية في كل من القطرين ؟ وهل انتهت الأخطار ؟

اذن لماذا حدث الانفصال ؟

انها «النكسة» كما عبر عنها الرئيس ·

فالحركة الوطنية لم تبلغ غاياتها ، والاسطول السادس كان يجول جنبا الى جنب مع الاسطول البريطانى حول المياه العربية ، والمؤامرات كانت لا تزال قائمة فلماذا حدثت «النكسة» ؟ وكيف تجمعت الرجعية وحدث الانفصال ؟ ·

ثم أى نوع من الانفصال هذا الذى حدث ؟

لقد قامت فى سورية حكومات رجعية ، ولكن هل قيام هذه الحكومات فصل بين الحركة الوطنية في سورية والحركة الوطنية فى مصر ؟ وهل استطاعت هذه الحكومة أن تقف حائلا بين وحدة الأهداف للشعب فى سورية والشعب فى مصر ؟ لقد قالها الشعب السورى قبل أن تمضى ستة شهور على الانفصال حين أطاح بالانفصاليين الذين قادوا حركة المؤامرة ·

ومع ذلك فالوحدة مازالت قائمة ·

ـ الاخطار التى تهددنا فى مصر مازالت تهدد شعب سورية ·

ـ والاهداف التى نسير اليها فى مصر يكافح من أجلها شعب سورية ·

ـ والمصالح المشتركة بين الشعبين لم ولن تتغير ·

فالوحدة كتطور تاريخي لازم المتحمسين في مصر وسورية مازالت قائمة ، والنكسة التي حدثت لم تطمس الا الشكل ، والحكومات الانفصالية التي قامت في سورية والتي ظنت انه بوجودها قد فصمت الوحدة انهارت أمام هدير الجماهير وزحف الجموع في سورية ٠

ولكن الصراع ظل قائما في سورية ٠

انه الصراع الذي كان قائما قبل الوحدة ، والذي عبر عنه الرئيس في ذلك الوقت بقوله :

« انني أعرف أن الوحدة حينما تقوم ، كل صاحب مصلحة عايز مصلحته بس هي اللي تتحقق ، فيه تناقض في المصالح ، فيه تناقض في الاهداف السياسية ، فيه تناقض في أهداف الرأسماليين ، كل واحد طلب الوحدة لمصلحة تختلف عن الآخر » ٠

نعم كانت هناك مصالح متعارضة ٠

الشعب يريد الوحدة ليحمي تطوره من مؤامرات الاستعمار والرأسمالية تريد أن تحمي نفسها من هبات الشعب السوري وهي أيضا تطمع في فتح سوق مصر لها ، تطمع في الاستفادة من تطور اقتصاد الجمهورية العربية ٠

وتمت الوحدة في هذا الجو المشحون من المتناقضات ٠

وأسرع أصحاب الملايين يريدون أن ينهلوا من هذه البئر الجديدة التي فتحت لهم بئر الوحدة ٠

وشمر أصحاب الملايين السوريون عن أذرعهم واقترضوا أكثر من ٥٠ مليون ليرة من البنك الصناعي في السنة الاولى لانشائه ٠

وعارض أصحاب الشركة الخماسية مشروع التصنيع الاول للاقليم السوري ليحتفظوا باحتكارهم للسوق ، واستغلال الشعب السوري ٠

وما حدث من أصحاب الملايين والاحتكاريين في سورية حدث مثله من أصحاب الملايين والاحتكاريين في مصر ، لقد ظنوا أن الوحدة تمت لحسابهم وحدهم ، وليست لجموع الشعب في سورية وفي مصر ٠

ولهذا عندما صدرت قوانين ١٩٦١ ، أطاحت الضربة بأحلام اصحاب الملايين والاحتكاريين ٠

ولكن هناك الحتمية التاريخية ٠

الحتمية التاريخية أي الظروف العالمية التي يكافح من خلالها الشعب في سورية والشعب في مصر هي التي فرضت الوحدة هذه الوحدة التي تمت خلال شعار «القومية العربية» ٠

فما الحتمية التاريخية ؟

وما القومية العربية ؟

لقد ظلت مصر جزءا من الخلافة التركية حتى تم الاحتلال البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ ٠

أما بقية العالم العربى : سورية ولبنان والجزيرة العربية والعراق وأجزاء أخرى من العالم العربى ، فقد ظلت تئن تحت الحكم التركى طوال صراعنا فى مصر ضد الحكم البريطانى ٠

وما حدث فى مصر حدث مايشابهه فى البلاد العربية ٠

ففى ظل الاحتلال البريطانى لمصر ، كان مصطفى كامل يقول :

« ان اتفاقنا مع تركيا كان دائما أساسا من أسس سياستنا »

وفى المؤتمر العربى الاول الذى عقد فى باريس خطب أحد أعضاء المؤتمر قائلا :

« ٠٠٠ لاتتطرق الينا فكرة الانفصال عن هذه السلطنة «العثمانية» مادامت حقوقنا فيها مرعيه محفوظة » ٠

ولكن تركيا رفضت اعطاء العرب حقوقهم وأقامت المشانق فى سورية ولبنان والعراق ، فهبت الثورة العربية ، هبت الشعوب العربيه التابعة للدولة العثمانيه تحرر نفسها ٠

واشترك فى الجيش العربى للثورة ثلاثمائة جندى من الجيش المصرى مع ضباطهم وبطارية من المدافع ، وكان الضباط المصريون متفقين على أنه بعد دفع كابوس الاتراك عن البلاد العربية لا بد من اخراج الانجليز من مصر وغير مصر ٠

وهكذا بدأت نواة النضال المشترك بين الشعب فى مصر ، والشعوب العربية فى سورية ولبنان والجزيرة العربية ٠

ولكن حدثت النكسة ، وتقاسمت فرنسا وانجلترا سورية ولبنان وفلسطين والعراق ، وانفردت انجلترا بمصر ٠

وفى الوقت الذى كان الشعب فى مصر يشعل ثورة ١٩١٩ ، كانت الشعوب العربية تخوض معركتها فى موقعة ميسلون ٠

وكما انتكست ثورة ١٩١٩ ، انهزمت الثورة العربية فى دمشق ، وأطاح الاستعمار الفرنسى بأول حكومة عربية أعضاؤها من مختلف الشعوب العربية .

ومنذ سقطت أول حكومة عربية فى سورية أعضاؤها من مختلف الشعوب العربية ، لم تقم حكومة عربية مشتركة الا فى عام ١٩٥٨ عندما تمت الوحدة بين مصر وسورية ٠

ولكن خلال هذه الأعوام من ١٩٢٠ الى عام ١٩٥٨ كانت فكرة الوحدة العربية تتبلور ، وتحاول أن تشق طريقها ٠٠ محاولات من التبادل الثقافى ، ومحاولات لاقامة العلاقات الاقتصادية ، وتأييد فى الكفاح لكل ثورة يقوم بها شعب عربى ٠

وفى عام ١٩٥٨ ٠

وبمعنى أدق فى تلك اللحظة التاريخية . فى تلك اللحظة التى انقسم فيها العالم ٠

فى تلك اللحظة التى تقفز فيها البشرية ، بعلومها وحضارتها نحو الفضاء ٠

فى تلك اللحظة التى تعمل فيها كل دولة «كبرى» على أن تجد مسكنا لائقا لكل فرد من أبنائها ، وأن تيسر العمل لكل أفرادها ٠

تمت الوحدة بين سورية ومصر ٠
لقد كان العالم يمر بأهم مراحل تطوره ٠
فأين كنا نقف نحن ؟

***

من قبل خرجت الشعوب العربية من تحت الاحتلال أو الانتـــداب أو الوصاية لتجد نفسها وسط هذه المرحلة ، تريد أن تحافظ على تحررها وتريد أن تلحق بالحضارة الجـــديدة ، وتريد ان تتبوأ المبـــدان اللائق بالانسان ٠

ووجدت أن مقومات القومية العربية تكاد تتكامل بل تفرض نفسهـا ووجودها ٠

- اللغة الواحدة التى تربطها ٠
- الكفاح المشترك ضد الاستعمار ٠
- التفاهم القائم على أسس ثقافية مشتركة ٠
- ثم الرغبة فى النهوض من مرتبة التخلف ٠

كل هذا كفيل بأن يدفع عجلة التطور بين الشعوب العربية فى سرعة وقوة للحاق بالعالم فى مدنيته الحاضرة ٠

ولكن هل كان يمكن أن تتحد دول تعيش بعقلية القبيلة أو الاقطاع مع دول قفزت الى مرحلة التخطيط فى الصناعة ٠

كانت أقرب الشعوب بعضها الى بعض فى التطور والنضج والاهداف هما الشعب السورى والشعب المصرى ٠

ولهذا قامت الوحدة بين الشعبين بارادة دافعة ورغبـــة فى التطور الصادق ٠

وكان يمكن أن تتم اشكال أخرى من الوحدة بين الجمهورية العربية وبقية الدول العربية ٠

ولكن الرجعية العربية تريد وحدة حكومات ، لا وحدة شعوب ، تريد أن تحافظ على الأوضاع القائمة ، ولا تريد أن تندفع مع التطور ٠

ولهذا وقفت الحكومات العربية تعمل على تحطيم الوحدة بين سورية ومصر ٠

***

ولكن المعركة أكبر من أن تنتهي بنكسة •

فالمعركة يخوضهـــا شعب العراق لاســـترداد بتروله السليب ، ويخوضها شعب الاردن ضد الملك حسين •

كل الشعوب العربية اليوم فى حركة وغليان ، فقد تخلفت طويـلا نتيجة كبت الاستعمار والرجعيه وهي تريد أن تلحق بركب الحضـــارة الصناعية ، تريد أن تبني صناعتها •

والقومية العربية ، والوحدة العربية هما الكفيلتان بتحقيق هـــذه الأهداف فالشعوب العربية فى مختلف أنحاء العالم العربي تكون تعـــدادا ضخما ، كما تملك ثروات متعددة يمكن بتبادلها خلق مجتمع صناعى •

ولكن هل يقبل سعود أن يستبدل بالعلاقات القبلية علاقات اجتماعية تقوم حول الصناعة ؟

وهل يقبل سعود أن يحول أموال متعته الى مصانع ؟

ولكن الشعب العربى فى الجزيرة يكافح من أجل تحقيق هـــذه الأهداف •

ولهذا كان أمام الجمهورية العربية احدى اثنتين :

ــ اما أن تقف فى مكانها تنتظر التطور الذى يحدث فى هـــذه البلاد حتى تمضى فى خطوات واحدة مع الحكومات العربية •

ــ واما أن نندفع فى طريقنا وتمضى الشعوب العربية معنا •

وكانت هذه هى المعركة •

***

لقد ظنت الرجعية العربية فى ســورية ان الوحدة معناها تكوين جمهورية عربية أتوقراطية تملك زمام الشعب وتتحكم فى مصيره •

ولكن ماحدث جعلها فى ذعر •

ــ قضى على الاقطاع •

ــ وحدث التأميم •

وكان هذا فوق احتمال الرجعية •

ولكن هل يمكن انتزاع هذه الحقوق من الشعب السورى ، واذا تم انتزاعها اليوم فهل يمكن محو آثارها ؟ وهل يمكن أن ينسى الشـــعب حقه فى استردادها ؟

لقد حققت الوحدة الكثير ، وكما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى بيان ٦ من أكتوبر •

« ان هذه التجربة لن تكون الا خبرة وانما كانت التجربة عملية

رائدة استفدنا منهـــا الكثير في تقديرنا ، وسيكون ما استفدناه ذخيرة للمستقبل العربي وللوحدة العربية التي أشعر أن ايماني بها يزيد قوة وصلابة » .

وكان هذا هو ما حدث بالفعل .

فقد انكشفت المؤامرة أمام الشعب ، وأطاح بالانفصاليين المرتشين الذين كشفهم عبد الناصر في أكثر من خطاب ، ولكن طعنات أخرى من الانفصاليين استطاعت ان تفرض سلطانها من جديد الى حين .

***

فما احتمالات المستقبل ؟

ان احتمالات المستقبل البعيد لاريب فيها ، فهي النصر للعرب ، وهي الوحدة للعرب ، وهي التقدم الاجتماعي والازدهار والسعادة للعرب .

لقد قال عبد الناصر في احدى خطبه : فلنواجه المستقبل بشجاعة ، تجاه الاعداء ، وتجاه أنفسنا .

وهذا التعبير الموجز البسيط الذي تحـدث به عبـد الناصر عن المستقبل يرسم لنا خط كفاحنا في المرحلة القادمة من معركتنا ضـد الأعداء ، ومعركتنا نحو أنفسنا لكي نرتفع أكثر وأكثر الى أعلى مسـتوى يتطلبه النضال العربي في مرحلته الشاقة القادمة .

ان متطلبات هذا النضال المرير ، تقتضي منا أن نتحلى بأعظم مزايا العرب القومية المأثورة وهي الشجاعة .

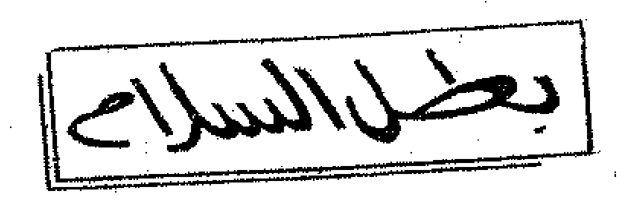
الشجاعة في مواجهة الأعداء .

والشجاعة في مواجهة أنفسنا .

ان أعداء القومية العربية ليسوا هم فقط أعداءها المتربصين بهـا خارج بلادها بل هم أيضا الاعداء الذين يتكلمون مثلنا باللسان العربي ، ونعني بهم الرجعية الانفصالية ، حليفة الاستعمار والصهيونية .

وفي مواجهة هذا الحلف الدنس ، حلف الاستعمار والرجعية ، لابد لنا من مواجهة أنفسنا بشجاعة يجب أن ننقد أعمالنا نقدا ذاتيا ، يجب أن نعرف ماأخطاؤنا بالضبط ؟ يجب أن نعرف الثغرات التي نفذ الينـا منها أعداؤنا المستعمرون والرجعيون .

ولم يبق الآن ريب في اننا سنواجه المستقبل بشجاعة تجاه الأعداء وتجاه أنفسنا كما قال عبدالناصر ، لان مستقبلنا ، مستقبل الأمة العربية كلها ، يتوقف على شجاعتنا في مواجهة المستقبل .


بطل السلام



لاول مرة فى تاريخ العـــرب الحديث ، وقف زعيم لهم مع اقطاب العالم ، على مرأى ومسمع من العالم ، يمسك معهم بيديه مصير العـــالم ، ويقول كلمته فى الحرب والسلام ، فيستمع اليه الاقطاب فى تبجيـــل ويضعون آراءه فى أرفع مواضع الاعتبار ٠

هـــذه هى الحقيقة الأولى التى رآهـا العرب بعيونهم أخيرا ، ورآها العالم كله معهم ، وهى حقيقة رائعـة كان العرب يحلمون بها فقط ، ولم يتصوروا قط انهم سيلمسونها بأيديهم لمسا الا بعد زمن طويل من الكفاح والدم والدموع ٠

ولكن جمال عبد الناصر اخرج للعرب هذه الحقيقة من عالم الاحلام الى عالم الواقع ، ووقفت الأمة العربية ممثـلة فى شخصه مع أقوى الامم جنبا الى جنب ، وعلى قدم المساواة ، فلم تعد الامة العربيـــــة ، وقد تولى زعامتها جمال عبد الناصر ، صوتا ثانويا فى العالم ؛ ولم تعد تابعا متواضعا يجرى فى آثار سادته الذين يتبعهم فاذا رفعوا ايديهم بالموافقـة على أمر وافق هو أيضا عليه ، واذا قالوا : لا ، سارع وراءهم فقال : لا ٠

وهذه الحقيقة الرائعة ليست واقعا أدبيا فقط ، ليس وراءه رصيد مادى مساو له ، وانما هى واقع أدبى ومادى معا ، لان عالمنا الحاضر ، عالم القوة والذرة والصواريخ ، لا يعترف بالحقائق الادبية مهما عظمت الا اذا استندت الى حقائق مادية عظيمة ٠

وقد سافر جمال عبد الناصر ووراءه جميع الحقائق المادية التى بناها فى تاريخ بلاده وتاريخ المنطقة التى تعيش فيها بلاده ، وتاريخ العالم الذى يضم بلاده وبلاد الآخرين ٠

سافر جمال عبد الناصر الى الأمم المتحدة ووراءه الثـــورة العربية والقومية العربية والجمهورية العربية والمجتمع العربى الثورى الجـديد ، وكلها مفاخر شاء التاريخ ان يتوج بها هذا الرجل لانه صنعها بيديه ، وحماها بيديه ، وكانت يداه دائما فى أيدى الشعب الـكبير الذى يقوده ويعمل من أجله ويبنى كل هذه المفاخر وهذه الحقائق المادية التى أصبحت من علامات عصرنا ٠

في الماضي سافر بعض رؤساء العرب الى الامم المتحدة ، فلم يكن لهم من الوزن والاعتبار اكثر مما لممثلي الدول التابعة مثل الدومينيكا وفورموزا وايران وحكومة سينجمان ري ، وكان اقصى ما يصنعه أولئك الرؤساء العرب أن يستدروا الدموع على حقوق العرب الضائعة ، ثم يعود الرؤساء الى عواصمهم العربية وكأنهم قد أدوا واجبهم وفعلوا كل شيء ٠

ونحن الان بين هذه الصورة الذليلة للعرب ، ممثلة في رؤسائهم السابقين ، وبين الصورة الجديدة التي ارتسمت امام العالم في شخص جمال عبد الناصر ٠

ان عبد الناصر لم يستدر دموع العالم على حقوق العرب التى تتناهبها الأيدى ، ولم يطلب الرحمه والعطف من المستعمرين ، ولم يلق هناك تلاما للاستهلاك المحلى ، بل وقف جمال عبد الناصر متسربلا الحقيقه الكبرى التى صنعها ٠

ان الاستقلال الذى كان ساسة « مصر » يستوهبونه من الكبار ، قد انتزعه جمال عبد الناصر فعلا من هؤلاء الكبار ، وعندما حاولوا استرداده هزمهم وألقى بهم الى البحر ٠

ان الامة العربية التى كانت راقدة فى اليأس والهزيمة قد انتفضت يملؤها الامل ويدفعها النصر ، واصبحت القوميه العربيه طليعة الحركات القومية فى افريقيه وآسيا وأمريكا اللاتينية ٠

ولم تعد الوحدة العربية كلمات تتـــأرجح فى الهواء ، لقد بدأت نواتها بالفعل فى الجمهوريه العربية المتحدة ، التى ترسم للعرب جميعا الطريق الصحيح للتضامن والاتحاد فى وطنهم العربى الكبير من المحيط الى الخليج ٠

ولم يعد المجتمع العربى رمزا للتاخر والجمود والتخلف بين المجتمعات الحاضرة ، لم تعد بلادنا جنة الاقطاع والاقطاعيين ، لان « جمال عبد الناصر » بدأ يبنى المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى مجتمع القومية العربية الخاص الذى تتجمع فيـه كل أحلامهـــا فى التقدم والازدهار واللحـــاق بعصر الفضاء والصواريخ ٠

وبلادنا لم تعد بستانا لا حارس له ، يتناهب اللصوص خيراته ، لان «جمال عبد الناصر» بنى لنا جيشا وطنيا قويا ، هو الآن أقوى جيش فى المنطقة التى نعيش فيها ، وفى استطاعته أن يرد كيد المعتدين ويكيل لهم الضربة عشر ضربات ٠

وبلادنا لم تعد شريطا أخضر فقط ، لانملك سواه ، ولا نجد الرزق الا بين ترابه السخى الوفى الغنى ، لان «جمال عبد الناصر» قرر أن يضيف الى هذا الشريط الأخضر أشرطة أخرى خضراء ، قرر أن يبنى السد العـالى ويضاعف الرقعة الزراعية ، وينشىء المصانع الحديثة ، ويحول بلادنا الى ترسانة كبيرة نصنع فيها كل شىء ، ولا نحتـــاج لشىء كثير يأتينـــا من الخارج ٠

كل هذه الحقائق اندمجت في الحقيقة الكبرى التي سافر بها جمال عبد الناصر الى الامم المتحدة ووقف بها أمام انظار العالم ، حقيقة الامة العربية الجديدة التي قفزت الى الصفوف العالمية الاولى ، وتبوأت مقعدها مع «الاقطاب» ، وتكلم زعيمها فاستمع اليه العالم كما استمع الى اكبر اقطاب الدنيا : ايزنهاور وخروشوف وماكميلان ونهرو .

وهذه الحقيقة المجيدة التي رفعت كرامة الشعب العربي في وطنه الاكبر كله ، هي التي رشحت «جمال عبد الناصر» صانع هذه الحقيقة المجيدة ، ليقوم بالدور التاريخي العظيم الذي قام به في الامم المتحدة ، وكان مستحيلا أن يقوم بهذا الدور قبل اليوم زعيم عربي من الطراز القديم الذي قضت عليه ثورة جمال عبد الناصر .

ماذا صنع عبد الناصر في رحلته هذه التاريخية الى الامم المتحدة؟ .

ان أول شيء فعله انما هو اعطاء العالم فكرة جديدة عن الأمة العربية بعد أن أعطى الزعماء القدامى كل العالم فكرة عن الامة العربية ظلت راسخة فترة طويلة ، كانسوا دعاية ضد بلادنا وأمتنا في الخارج .

لقد كان ظهور عبد الناصر في نيويورك ، معقل الصهيونية العالمية ايذانا للعالم كله بأن العرب لم يعودوا تحت رحمة الصهيونية ، لقد أصبح العرب أقوياء يقودهم « ناصر » الذي يعتبر اسمه علامة عصر جديد للعرب في جميع بلدانهم .

لم تكن نيويورك تتوقع زيارة مفاجئة كهذه يقوم بها الرئيس جمال عبد الناصر الذي يعيش في نيويورك أعتى أعدائه ، ولهذا كان ظهور عبد الناصر في نيويورك دليلا على أنه أقوى من جميع العتاة الذين يناصبونه وأمته أقسى ألوان العداء .

ومنذ اللحظة الاولى لوصوله الى نيويورك ، أصبح واضحا انه أحد الاقطاب القلائل في العالم الذين يمسكون زمام الحرب والسلام ، ولم يجد الصهيونيون حيلة لاخفاء هذه الحقيقة فاستسلموا لها ، واستطاع عبد الناصر أن يعزلهم عن مراكز النشاط الرئيسية ، ويثبت للعالم أن العرب هم أصحاب المنطقة التي يعيشون فيها ، وان الصهيونيين القلائل هم عصابة من الدخلاء والمغتصبين .

وعندما هرع ماكميلان الى حيث يجلس جمال عبد الناصر في اجتماع الامم المتحدة ، ومد ماكميلان يده اليه ، شاهدت جميع الشعوب انتصار عبد الناصر في حرب السويس عام ١٩٥٦ يلخصه هذا الموقف التاريخي بينه وبين رئيس الدولة المنهزمة في حرب السويس .

ان عبد الناصر لم يذهب الى ماكميلان ولم يلتفت اليه ، لان ذلك ما كان يفعله زعماء العهود البائدة عندنا ، وكان لا بد اذن من أن يخطو رئيس وزراء بريطانيا العظمى الخطوة الأولى ، ويذهب الى جمال عبد الناصر .

وعندما التقى عبد الناصر بايزنهاور وخروشوف وغيرهما من قادة

الدول كان عبد الناصر يقف فى مركز القوة المعنوية ، كما يقف فى مركز القوة المادية التى أتاحها له مركزه الضخم كرائد وقائد وزعيم لانشط وأقوى قومية فى آسيا وافريقية •

وعندما تكلم عبد النـــــاصر فى الأمم المتحدة ، هرع لسماعه كل مندوبى الدول ، وجلس يصغى اليه جميع الزعماء والرؤساء ، ولم يتخلف عن سماعه حتى وفد اسرائيل بقيادة جولدا مائير ، لأن كلمات عبد الناصر موضع اهتمام العـــــالم بأسره ، لا فرق فى ذلك بين أعداء عبد الناصر وأصدقائه •

ودوى اقتراح عبد الناصر فى الأمم المتحدة باجتمـــــاع ايزنهاور وخروشوف دوى القنبلة ، وتحول على الفور الى اقتراح تاريخى تقدم به جميع زعماء الحياد •

***

وهكذا كان ظهور عبد الناصر فى نيويورك علامة انعطاف هـــام فى تاريخ العرب ، بعد انعتقوا من الدرب السحيق الذى كانوا يسيرون فيه الى طريق فسيح أصبحوا فيه قوة هامة فى ميزان العالم ، ولم يعودوا وحدهم فى هذا الطريق ، فقد سار معهم فيه ثلثا سكان العالم فى القارتين الكبيرتين اسيا وافريقية ، وحتى امريكا اللاتينية أصبحت تجد فى كفاح العرب بقيادة جمال عبد الناصر وحيا يلهمها فى كفاحها الشاق ، كما قال كاسترو لجمال عبد الناصر : «ان شعب كوبا من أشـــد المعجبين بالشعب العربى ، وانه يشعر بأن مجيء الرئيس العربى لزيارته فى حى هارلم يعد شرفا عظيما لكوبا وشـــعبها ، وخاصة ان شعب كوبا يكن شـــعورا بالاعجاب بالثورة العربية وبالعطف عليها ، وهانحن أولاء نرى امامنا الزعيم عبد الناصر الذى سجل فى التاريخ تضحيات الشعب العربى يشجعنـــا على الاستمرار فى مكافحة المستعمرين والاســـتعمار كمـــا فعل الشعب العربى » •

وهكذا أصبح عبد الناصر فى نظر العالم مرادفا للعرب ، ان اســـم «ناصر» هو بالضبط اسم الأمة العربية فى كل مكان ، وقد ارتفعت مكانة الامة العربية عندما أصبح اسم ناصر مقرونا بالجهود العظيمة التى بذلها ويبذلها دائما فى سبيل السلام والمحافظة على الاستقلال والحياد •

وكانت مهمة عبد الناصر فى نيويورك هى بالفعـــــل المهمـــة التى تمنتهـــا كل الشعوب : ففي نيويورك جاء عبد الناصر ليقابل الشعوب كلها ممثلة فى الامم المتحدة ، ولم يتلق الدعوة من أحد ، لان عبد الناصر تعود دائما أن يلتقى بالشعوب دون وساطة ، ويتحـدث اليها دون أن يحول بينه وبينها حائل ، فالمصالح التى يدافع عنها عبد الناصر وتدافع عنهـــا الشعوب مصالح واحدة ، لاتتناقض ولا تتعارض وتتجه كلهـــا فى آخر المطاف الى هدف واحد ، هو حماية السلام العالمى ، وازدهار الرفاهيـــة للانسانية كلها ، وحماية الشعوب الصغيرة من أن تقع فرائس للدول الكبرى المدججة بأسلحة الدمار الشامل •

وهكذا التقى عبد الناصر بالشعوب في الامم المتحدة ممثلا للشعب العربي وللقومية العربية ، وهو بهذه الصفة وقف أمام العالم كله ممثلا لقوة صاعدة جبارة تشارك بقوة وجسارة في صنع التاريخ الحديث لمنطقة الشرق الأوسط كله ، بل وللعالم بأسره ، وكان لقاء عبد الناصر بالشعوب في الامم المتحدة ممثلا للضمير الانساني الذى تتضمنه دعوة الحياد الايجابي التي كان عبد الناصر دائما في مقدمة الحاملين لرسالتها والمدافعين عنها ؛ والمؤمنين بأثرها العظيم في حراسة السلام العالمي ، وحماية الجنس البشري ، وصيانة استقلال الشعوب الصغيرة وفتح أبواب جديدة تدخل منها شعوب أخرى تنتزع استقلالها من الاستعمار .

وعندما التقى عبد الناصر بالشعوب في الامم المتحدة كان ممثلا للمجتمع الجديد في بلاده التي تبذل كل جهدها للحاق بموكب العصر الحديث في ميادين الصناعة والزراعة والعلم وغيرها من ميادين الحياة : وبهذه الصفة وقف عبد الناصر امام العالم كله ممثلا لقوة التطور في الشعب العربي ، وهي قوة هائلة ذات آثار شديدة الفعالية ، استطاعت خلال سنوات قلائل ان تقتلع كثيرا من جذور الرجعية وتغرس كثيرا من جذور التقدم ، وتفتح للأمة العربية باب العصر الذرى وعصر الفضاء ، وتضع بالانسان العربي على رأس الطريق الذى سار فيه انسان النصف الاخير من القرن العشرين ، والتقى عبد الناصر بالشعوب في الامم المتحدة كقائد وطني لبلاده ، قادها في معارك عسكرية ضد أعداء كثيرين ، وألحق بهم هزائم تاريخية لم تحرر بلاده فحسب ، بل فتحت طريق الحرية لشعوب كثيرة تتطلع اليها في أفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية .

وهكذا التقى عبد الناصر بالشعوب في الأمم المتحدة وفوق جبينه عدة أكاليل لا اكليل واحد ، وتحدث اليها أحاديث قريبة الى قلوبها وضمائرها ومصالحها ، ووقف في كل قضية موقفا ترضاه كل الشعوب لاشعبه فقط ، وبهذا عبر عبد الناصر عن روح سياسته العظيمة التي ربطت مصلحة الشعب العربي بمصالح الشعوب الحرة جمعاء ؛ وجعلت الشعب العربي حليفا لجميع الشعوب الحرة المكافحة ، لايعادى الا من يعاديه ، ولا ينكص على عقبيه في معركته المجيدة ضد الاستعمار والصهيونية .

***

ان عبد الناصر وضع قدميه لاول مرة على الارض الامريكية ، وقد سبقه وجاء بعده رؤساء حكومات ودول من جميع القارات ، ولم يكن أحد يتصور أن هذا الحشد العظيم من قادة العالم يمكن أن يجتمعوا جميعا بدعوة من الحكومة الامريكية ، ولم يخطر على بال حكومة أمريكا أن رؤساء العالم سيجتمعون فوق أرضها هذا الاجتماع التاريخي الذى فتح الباب لاجتماعات أخرى تاريخية واسعة حاسمة .

ان مصير الجنس البشري ، هو الذى أرسل رقاع الدعوة الى هؤلاء القادة ، فكان لابد لهم من تلبية الدعوة والسفر الى الارض التي كان من الاحتمالات البعيدة أن يسافر اليها الكثيرون منهم .

وقد سافر عبد الناصر الى نيويورك مدعوا من السلام ومن الشعوب، وحل هناك ضيفا على السلام وعلى الشعوب . وليس له من هدف هناك الا اقرار السلام فى سبيل الشعوب . ولم يحدث قط فى تاريخ الدبلوماسية ان سافر رئيس دولة فى مهمة كهذه الى أرض بعيدة كأرض أمريكا تعج بمن يناصبونه العداء ، بل وبمن يعتبرونه عدوهم الاول .

ونزل عبد الناصر فى قلب نيويورك . فى عاصمة الصهيونية الكبرى ؛ فى بلد يعيش فيه خمسة ملايين صهيوني يملكون ثروته ؛ ويؤثرون فى سياسته ، ويحتلون فيه مراكز القوة والتوجيه .

ولكن عبد الناصر لم يأبه لشىء من ذلك ، لم يفكر فى قوة الصهيونية الهائلة فى نيويورك ، لم يخش مؤامراتها وحماقاتها ودسائسها ؛ لأنه أقوى منها كثيرا ؛ ولهذا ذهب اليها فى عرينها .

وقد كان سفر عبد الناصر الى نيويورك علامة خير كبير للانسانية فى اللحظات الحرجة التى كان يمر بها السلام العالمى وتمر بها الشعوب الصغيرة وخاصة الشعوب المستقلة حديثا فى افريقية ، كما تمر بها الامم المتحدة بالذات بعد التجربة القاسية التى شهدتها فى الكونغو .

وكما قالت جريدة الايكونومست البريطانية فان قرار سفر الرئيس عبد الناصر الى الامم المتحدة «قد طغى على كل القضايا السياسية الاخرى»

ولم تنكر الصحافة العالمية فى أمريكا ودول الغرب الاهمية التاريخية لسفر الرئيس الى الامم المتحدة ؛ ومن البديهى انه قد ارتفع الى جوار الحقائق كثير من الاكاذيب التى حاولت الصحافة الصهيونية والاستعمارية أن تثير غبارها فى طريق رحلة الرئيس .

وقد اعتدنا نحن العرب منذ وقت غير قصير أن نتجاهل الغبار الذى تثيره شياطين الاستعمار والصهيونية فى طريقنا لأن الحقائق التى نتسلح بها فى مواقفنا تتكفل دائما باضاءة طريقنا وكشف خصومنا واعلاء كلمتنا والحاق الهزيمة بهم .

لقد حمل الرئيس الى الامم المتحدة رسالة العرب التقليدية ، رسالة السلام والحرية والاخاء ، وبرهن برحلته التاريخية هذه على أن القومية العربية تعيش الآن فى مستوى الاحداث التاريخية الجسام التى يمر بها العالم .

وبين باندونج التى سافر اليها الرئيس منذ سنوات . ونيويورك التى نزل فوق أرضها عاش العالم خمس سنوات عصيبة زحف خلالها الى حافة الهاوية عدة مرات ؛ وتقهقر عنها عدة مرات حتى باتت أعصابه مشدودة الى أقصاها ، متوترة الى حد الجنون ؛ مشتعلة لا ينقصها الا الانفجار النهائى الرهيب .

لقد اصطدمت كتلة الشرق بكتلة الغرب ، وامتدت يد كل منهما الى خنجرها الذرى لتغمده فى صدر الاخرى وأصبح العالم مهددا بمعركة فناء لا يفنى فيها الغرب وحده ، ولا الشرق وحده ، بل يفنى فيها البشر جميعا

وتنهار الحضارة من أساسها ؛ فكان لابد أن يسارع المحايدون لاطفاء النار ، ومنع امتداد لهيبها ، والحيلولة دون الكارثة .

وفى هذه الظروف الحاسمة قطع عبد الناصر المسافة بين القاهرة ونيويورك بدعوة من الشعوب ليقول كلمة شعبه وكلمة الشعوب فى القضايا الكبرى المعروضة على الامم المتحدة فى دورتها الخطيرة .

وفى نيويورك اجتمع ممثلو دول الاستعمار ، والدول المنكوبة بالاستعمار والدول التى تحررت حديثا من الاستعمار ودول الكتلة الشرقية ، ودول الحياد . وقد كانت فكرة اجتماع أقطاب الحياد فى مؤتمر لهم فكرة ايجابية بحثها أقطاب الحياد فى اجتماعاتهم الكثيرة ، وكان هدفهم من هذا المؤتمر العظيم المقترح أن يبحثوا الشئون الدولية التى بلغت قمة الخطر ؛ وكان واضحا دائما أن هذا المؤتمر الحيادى سيكون له فائدة مضاعفة اذا تم عقده داخل الامم المتحدة ، وتبودلت رسائل كثيرة بين زعماء الحياد فى آسيا وافريقيه وأوربا دارت كلها حول المشكلات العالمية وضرورة ايجاد حل لها داخل الامم المتحدة ضمانا لاحاطتها بتأييد ممثلى أكبر عدد من دول العالم .

وقد تجلت هذه الفكرة الحيادية فى البيانات الرسمية التى صدرت خلال اجتماعات الرئيس جمال عبد الناصر بزعماء الحياد الايجابى : كالرئيس نهرو والرئيس تيتو والرئيس سوكارنو .

وقد عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها الخامسة عشرة بعد أن وافقت على انضمام قبرص وثلاث عشرة دولة افريقية جديدة ؛ وبذلك تضاعف عدد الدول غير المنحازة للأمم المتحدة ، وقويت جبهة الحياد ، وازداد نفوذ الجبهة الآسيويه الافريقية ، وتقلص النفوذ التقليدى الذى كانت بعض الدول الكبرى تسيطر به على الامم المتحدة وقراراتها ؛ وجدت بذلك انعطاف تاريخى هام فى حياة هذه المنظمة الدولية التى علقت عليها الشعوب وما زالت تعلق آمالها فى السلام والاخاء الانسانى والغاء العبودية الاستعمارية ومحو التفرقة العنصرية وانهاء الصراع بين الشرق والغرب ونزع أسلحة الدمار التسامل والسير فى طريق التعايش السلمى بين الدول جميعا .

وفى هذا «الطقس» الدولى المواتى اجتمع أقطاب الحياد فى نيويورك؛ والتقى عبد الناصر برفاقه فى الكفاح الحيادى ، وبدأ هؤلاء الابناء البررة للانسانية نضالهم المشرف داخل الأمم المتحدة لينتزعوا النصر لرسالتهم، رسالة الحياد التى سميت بحق « ضمير الانسانية » .

***

وكانت الامم المتحدة فى دورتها تلك تنظر أخطر القضايا ، وتحاول أن تتخذ فيها أخطر القرارات ؛ وعلى رأس هذه القضايا الخطيرة قضية الجزائر وقضية الكونغو وقضية فلسطين ؛ وقضايا أفريقية وآسيا وأمريكا اللاتينية ، وخاصة قضية كوبا وقضية ايريان الغربية التى اقتطعتها هولندا من اندونيسيا وفرضت عليها نظام الاستعمار .

وكانت القضية الأساسية الخطيرة ، قضية نزع السلاح التي كان يجب أن تجد لها الشعوب حلا حاسما داخل الامم المتحدة ، حتى لايجرى سباق التسلح بين الدول الكبرى الى غايته ؛ ثم يصطدم حاملو السلاح اصطداما مروعا لا ينجو أحد من عواقبه المخيفة .

وقبل ذلك اقتصرت هذه القضية الخطيرة فى مباحثاتها على الدول الكبرى فى مؤتمرات مقفلة واجتماعات سرية ورسائل بين رؤساء الدول الكبرى تدور فى حلقه مفرغة ولا تهدف الا الى تبادل الاتهامات ؛ وكان المفروض انه اذا عرضت بعض الدول الكبرى فى هذه الدورة على الجمعية العامة مقترحات لنزع السلاح ذات صفة ايجابية فان الامم المتحدة بتشكيلها الجديد ، لن تخذل هذه المقترحات ، بل تقف الى جانبها وتعطيها على الاقل قوة ايجابية ترغم خصومها على عدم تجاهلها وعلى محاولة الالتقاء بها والتفاهم معها .

ولو نجحت الامم المتحدة فى اتخاذ خطوات ناجحة بشأن قضية نزع السلاح لكان هذا أول نصر ضخم تحرزه ضد عوامل الحرب وسباق التسلح والجفاء بين الدول الكبرى .

وكانت هناك أيضا قضية هامة تنظرها الامم المتحدة فى الدورة هى قضية عضوية الصين الشعبية فى الامم المتحدة ، فما زال كرسى الصين ذات ستمائة مليون النسمة يحتله ممثل المارشال شانج كاى شك حاكم فرموزا ؛ وهذا الوضع يعرض السلام فى آسيا لخطر شديد كما قال شرى نهرو ؛ ولابد والأمر كذلك من نظرة جدية فعالة تلقيها الامم المتحدة على هذه القضية التى طال عليها الامد وباتت خطرا ينبغى ألا يستهان به .

أما قضايا فلسطين والجزائر والبلدان الواقعة تحت نير الاستعمار فى افريقية وآسيا فان الدورة الخامسة عشرة كانت تعنى بالنسبة لها نقطة انطلاق قوية بعد أن تعثرت هذه القضايا طويلا فى أروقة الامم المتحدة بفعل دسائس المستعمرين .

وحول هذه القضايا كلها كان لابد أن يصطدم الشرق بالغرب كالعادة ويتبادل أقطابها الاتهامات ، ويجذب كل منهما الآخر الى حافة الهاوية ، ولا يبقى عندئذ مناص من أن يقوم الحياديون بدورهم الشريف فى سبيل السلام العالى وفى سبيل تحرير الشعوب المستعبدة وفتح طريق الرخاء والتنمية أمام الشعوب المستقلة حديثا .

ولم يكن من المعقول أن يكون هذا الدور الذى يقوم به الحياديون فى الامم المتحدة دورا سلبيا ، أو تقتصر مهمتهم على ابعاد النار عن الفتيل؛ فلهم طاقة هائلة تجمع حولهم تأييد الشعوب فى الامم المتحدة وتمكنهم من أن يلزموا الطرفين المتنازعين الجنوح الى الطريق الذى يحقق مصلحة الشعوب .

وهكذا بدا واضحا أن دور الرئيس عبد الناصر فى الأمم المتحدة سيكون دورا بالغ الأهمية ؛ لا بالنسبة للشعوب العربية وحدها ولا بالنسبة لمنطقة الشرق الاوسط فقط ، بل للعالم كله بغير استثناء ،

وهذه الاهمية البالغة لدور الرئيس فى الامم المتحدة هى التى أوحت اليه قرار السفر الى نيويورك ، وقد كان من المستبعد تماما أن يظل الرئيس في عاصمة بلاده على حين يجتمع فى نيويورك أقطاب الحياد واقطاب العالم فى أكبر مؤتمر فى التاريخ الحديث ، لان الرئيس عبد الناصر يدرك جيدا مسئولياته كرجل حياد ورجل سلام ورجل أحداث تاريخية «كبرى» كان لها أعظم الأثر فى تطورات العالم خلال السنوات الحاسمة الماضية .

وكان هذا ما حدث بالفعل .

فأمام العالم كله فى الأمم المتحدة ؛ وقف جمال عبد الناصر ، على منبر الجمعية العامة يرسم طريق السلام فى دورة السلام .

والحق أن «جمال عبد الناصر» حين أعلنها من فوق المنبر مدوية بأن أعز أمانيه أن تمضى هذه الدورة فى التاريخ باعتبارها دورة السلام لم يكن يتمنى ذلك فحسب ، بل لقد كان يخطو بالعالم كله خطوات كبيرة واسعة فى سبيل اقرار السلام وتهيئة الجو المناسب له ووضع الأسس الرئيسية للوصول الى الهدف الذى تتمناه كل الشعوب .

ومن أجل تحقيق السلام لابد من عرض كل المشكلات على حقيقتها دون تحيز أو تعصب ؛ ولابد من استعراض كل الأسباب التى أدت من قبل ولا تزال تهدد بقيام الحرب .

وهذا هو بالضبط ما صنعه عبد الناصر .

فعبد الناصر يعلم جيدا أن معركة السلام هى معركة الحرية تماما كما يعلم أنه لكى ينتصر السلام وتنفذ البشرية حياتها كلها لابد أن تنتصر البشرية فى معارك الحرية ، ومن أجل أن تنتصر الحرية لابد من الوقوف فى وجه السيطرة وفى وجه مناطق النفوذ ، وفى وجه مؤامرات الاستعمار وهى كلها ليست سوى وجوه لمعركة الحرية فى العالم ، وفى سبيل الانتصار فى معركة الحرية لابد أن تعمل الأمم المتحدة ؛ ولابد من وضع حد لمعركة التسلح التى لا تعرف سوى الشر والباطل والوحشية وكل هذه صور وأدوات للحرب التى لو قامت لقضت على كل آمال الانسان ، ولانتهكت تطلعاته لتحقيق ظروف أحسن تتهيأ فيها كل أسباب النمو والتقدم لمصلحة جيل الحاضر وأجيال المستقبل .

من أجل ذلك شرح عبد الناصر كل مشكلات العالم ؛ وانتهى منها الى مواجهة الرجلين اللذين يقفان وجها لوجه وبين أيديهما كل أسلحة المعركة ، المعركة التى تهدد أمن البشرية .

ولئن كان مصير العالم اليوم ومستقبله تملك زمامه قوة الرأى العام العالمى ، والقوى المعنوية ذات الامكانيات والطاقات الاخلاقية اللامحدودة ؛ ان هذه القوى السلامية مازالت تتعرض لتهديدات يمكن أن تعرقل سيرها ولو مؤقتا من أجل تحقيق هدفها النهائى الرامى الى تحقيق السلام للبشرية كلها ؛ هذه التهديدات تنبثق من الصراع المستعر المتميز بالعنف والدائر بين الشرق والغرب ، وكلا المعسكرين يملك من أدوات الحرب

والدمار ما يمكن أن يغرق العالم فى بحر من الدماء والآلام ؛ ومن هنا برزت ضرورة تحويل الصراع العنيف بين المعسكرين الكبيرين الى منافسة سلمية شريفة تتاح فيها الفرص المتكافئة للجميع لكى يمارسوا الابداع وينشدوا التفوق داخل نطاق السعى لخدمة قضية الانسان الاساسية وهى تحقيق السلام الدائم المطلق الأبدى ٠

والواقع أن أهم مشكلة قائمة بين المعسكرين الكبيرين ، وتنعكس جوانبها ومظاهر الصراع فيها على العالم كله انما هى مشكلة نزع السلاح ، ولا يمكن أن يزول قلق الناس وتنمحى مخاوفهم وشكوكهم من المستقبل الا اذا أمكن ايجاد حل واقعى ومعقول لهذه المشكلة المزمنة التى تتفاقم وتتعقد يوما بعد يوم ٠

لا شك أن كل ذلك هو الحقيقة ٠

فقد بات العالم كله يعيش تحت رحمة الصواريخ السوفيتية . والطائرات الذرية الامريكية ؛ ولم يعد هناك الا الحرب بديلا من السلام ، وفى الحرب الذرية لو وقعت يفنى الرأسماليون وطائراتهم ورءوس أموالهم ، ولا يستطيعون أن يربحوا دولارا واحدا كما كانوا يربحون فى الحروب الماضية ، حروب الجندى والبندقية والسونكى ٠

وفى الحرب الذرية أيضا يتهدم البناء الكبير الذى بناه السوفيت فى ثلاثة وأربعين عاما وبذلوا من أجل بنائه العرق والدمع والدم والتضحيات الجسام ٠

وفى الحرب الذرية فوق هذا وذاك يتعرض الذين ليست لهم علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالصراع القائم بين الكتلتين للمصير المظلم الذى لن تستطيع فيه الصواريخ أو الرءوس الذرية أن تميز بين الظالم والمظلوم ٠

من أجل ذلك لم يبق الا أن يصيخ العالم سمعه الى نداء العملاق العربى الذى أبحر من شاطىء البحر الابيض الى شاطىء نيويورك ليخوض معركة السلام ، وهى معركة الناس كلهم ٠

وليطلب من الرجلين اللذين يجلسان على رأس دولتين تملكان من الامكانيات العسكرية الهائلة ما يمكن أن يؤثر على مصير العالم ، أن يلتقيا تحت علم الأمم المتحدة ، وأن يبحثا داخل نطاق هذه المنظمة الدولية مشكلات بلديهما ٠

قضية نزع السلاح ليتفقا على الخطوط الرئيسية التى تقرب وجهات نظرهما ؛ ومن هنا يمكن الوصول الى اتفاق تسير الدول كلها بعده فى طريق السلام ٠

والعالم كله كان يعرف أن لكل من الرجلين شخصيته ؛ ومنطقه وطريقته فى الايمان بالسلام ٠

وأول الرجلين هو خروشوف الذى وقف يتحدث عن السلام ونزع

السلاح واستقلال الشعوب ، ثم يشير الى دول الغــــرب الكبرى ولسان حاله يقول : « صواريخنا في القمر ، وصواريخهم غارقة في البحر ! » .

والحق أن هذه الكلمة اللاذعة التي أرسلها خروشوف ، تلخص بدقة تامة حقيقة الموقف بين الشرق والغرب ، فالسلاح النهائي ، أو الصاروخ الكوني كان رابضا في قواعد الاطلاق السوفيتية لا في القواعد الامريكية ولا البريطانية .

وهذا الموقف بالذات لم يثمـــل خروشوف كالخمر ولم يفقـــده اتزانه ، بل فتح له أبواب المحيـــط الاطلنطي ، وقاد سفينته حتى ألقت مراسيها في ميناء نيويورك .

ذهب خروشوف الى هناك وهو يؤمن بأنها فرصة لبحث التعايش السلمي ولتحويل المعركة الى منافسة سلمية في المجـــال الاقتصادي ، يخرج منها النظام الاقـــوى وفي يده النصر الحاسم على النظام الآخر . ومن الطبيعي أن السوفيت : عاشـــوا مؤمنين بأن نظامهم سيفوز في أية منافسة سلمية مع النظام الرأسمالي ، وهو عكس ما يؤمن به المعســـكر الغربي الذي لا يسك أبدا في انتصار نظامه على النظام الشيوعي .

وكان هذا هو بالضبط ما يؤمن به أيزنهاور الرئيس الامريكي في ذلك الوقت ، فايزنهاور وخروشوف اذن لم يسعيا الى لقاء بين النظامين على الصعيد الايديولوجي لان معنى هذا اللقاء نزول كل من النظامين عن عدد من مبادئه الاساسية ، وهو أمر مستحيل تماما ، ولا يمكن أن يفكر فيه الا الخياليون ، وخروشوف وأيزنهاور واقعيان وليسا خياليين .

ولكن الذي يسعى اليه الناس كلهم سواء في المعسكر الشرقي أو الغربي هو أن تصبح الحرب بين المعســكرين في الظروف الراهنة أمرا مستحيلا أو بعيد الاحتمال على الاقل .

فكل الناس يريدون السلام .

كلهم يريدون التعايش السلمي ، لانهم باتوا يؤمنون أن التعايش السلمي ضرورة حيوية لا للاتحاد السوفيتي فحسب ، ولا للدول المستقلة حديثا وحدها ، بل للدول الرأسمالية أيضا ، ومن الممكن أن يلقي الناس جميعا بأسلحتهم في جوف المحيط ، ويبدءوا تنافسا سلميا لانتاج اللحم والبيض والزبد وبناء المدن الجديدة ومحاربة الأمراض القاتلة واعـــلاء كرامة الانسان .

من الذي يعارض اذن سيطرة السلام ؟

بصراحة انه الاستعمار ، فالاستعماريون يعارضونه ولا يريدونه ، ويرفضون أن يركبوا في سفينته مهما أحاطت بهم أمواج الطوفان .

ولكن الاستعماريين الذين يرفضون السلام ، وان راحوا يتنادون في الظاهر به ، لم تعد لديهم القدرة على ثمن حرب يفوزون فيها ، ان الحرب لم تعد نزهة الاستعمار ، ولم تعد القنبلة دجاجة تبيض الذهب لاحتكارات نيويورك ولندن وباريس ، لأن الشعوب أصبحت من القـوة

بحيث تلحق بالاستعماريين فى أية حرب عالمية هزيمة ماحقة تقضى على نظامهم الى الأبد ، ولا يريد الاستعماريون بطبيعة الحال أن يموتوا ولا يريدون لنظامهم أن ينتهى هكذا بغير أمل فى العودة ٠

ولهذا السبب بالذات ينبغى على الاستعماريين أن يجدوا طريقا جديدا وحياة ، يبعد عنهم الموت وينقذ اهم ما يمكن انقاذه من نفوذ وسلطان وثراء ٠

وحول هذه النقطة تلتقى جميع المناورات والمؤامرات والمفاوضات والمساومات والنضال والكفاح فى عالمنا الحاضر ، عالم القلق الذرى والهوس الاستعمارى والامل العريض فى السلام ٠

وهكذا كان لابد للعالم كله أن يدرك أن أفضل طريقة لصيانة السلام ومنع الحرب حتى لا يموت الاستعماريون وأعداؤهم معا انما هى نزع السلاح نزعا شاملا ، مع الاشراف عليه بطريقة فعالة لا غش فيها ولا خداع ٠

وقد أعلن خروشوف فى الامم المتحدة انه موافق على نزع السلاح كما أعلن ايزنهاور موافقته أيضا ، ولم يبق كما قال الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه فى الامم المتحدة الا أن يجتمع خروشوف وايزنهاور لينزعا سلاحهما بالفعل ٠

والحقيقة أنه اذا تحسنت العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا ، فان العلاقات ستتحسن بين بقية دول العالم لأن حالة العلاقات بين أمريكا والاتحاد السوفيتى ذات تأثير ضخم فى حالة العلاقات بين بقية دول العالم ٠

وهذا هو الذى جعل الدول المحايدة تسعى الى تحسين العلاقات بين وشنطون وموسكو ، وتحمل صيحات رؤسائها على منبر الامم المتحدة فى تلك الدورة ، هذه الرغبة الجياشة فى التقريب بين أقوى دولتين فى العالم ٠

وقد كانت كلمة الرئيس جمال عبد الناصر فى الامم المتحدة تحمل هذه الرغبة العامة التى تبديها شعوب البلدان المحايدة كما تبديها شعوب البلدان المنحازة نفسها ٠

فالشعوب كلها تعلم أن المعركة فى الاصل معركة بين أمريكا وروسيا ، بين خروشوف وأيزنهاور ، وقد ذهب خروشوف الى نيويورك بالفعل ٠

ولا يمكن أن يكون قد ذهب الى نيويورك ليضحك الامريكان كالمهرج السكران ، بل يجب أن يصغى أيزنهاور جيدا اليه ، لأن العالم كله يصغى اليه ويقدر كلماته ما دام لديه الاستعداد للسلام ٠

وهذه هى فى الواقع مهمة زعماء الحياد والسلام ، مهمة جمال عبد الناصر ونهرو وسوكارنو وتيتو ٠

وجمال عبد الناصر عندما ذهب بنفسه الى الامم المتحدة ، وعندما بادر بدعوة خروشوف وأيزنهاور الى اللقاء ، لم يفعل ذلك بدافع تحقيق مكسب شخصي أو بدافع تقليد المغرمين بالدعاية ، وانما فعل ذلك لأنه يؤمن في أعماقه بقضية السلام ، ويؤمن كما يؤمن الشعب العربي وكل الشعوب بأنه لا يمكن تحقيق التقدم وتنفيذ برامج التصنيع والرخاء كاملة الا اذا تحققت امكانيات العيش في هدوء وســـلام ، عندئذ يمكن للحكومات وللشعوب معا أن تنصرف الى معركة البناء . وليس أحرص على خوض هذه المعركة الهامة من شعوب نكبت بالاستعمار أجيالا طويلة ولحقها التخلف وفاتها كما قال عبد الناصر عصرا البخار والكهربا ويوشك أن يفوتها عصر الذرة .

ومن خلال مبادىء الحياد وعدم الانحياز برز اخــلاص عبد الناصر وصدق دعوته لتهيئة فرص طيبة لكي يزدهر السلام وتنمو براعمه .

وعندما عاد بطل السلام ، بطل الامة العربية ، وملهم الشعوب الافريقية والآسيوية ، عاد من رحلته في سبيل السلام ، مقرونا اسمه بالسلام ، متــوجا بالكرامة والايمان والثقة ، مســـجلا لأول مرة في تاريخ العرب الحديث يقظتهم الكبرى أمام العالم .

ان ما فعله جمال عبد الناصر في نيويورك ليس خافيا على أحد في بلادنا أو في خارج بلادنا ، لأنه فعل كل شيء أمام أنظار العالم كله ، وهي تتابعه بحماسة وانبهار ، ولا يوجد في العالم الا عمي البصائر فقط ، من لم يروا ما فعله جمال عبد الناصر في نيويورك من أجل أمته ومن أجل العالم .

ان أضواء عدسات التصوير التي سلطت في نيويورك على عبد الناصر، كانت خافتة جدا اذا قيست بأضــــواء التاريخ التي غمرته كأنها نور الشمس .

والحق يقال : ان هؤلاء الزعماء البررة بشعوبهم وبالعـــالم كله ، عملوا طويلا لكي يجعلوا الدورة الخامسة عشرة للأمم المتحدة دورة تاريخية للسلام العالمي .

وعندما يشيد التاريخ بالنجاح الذي حققته هذه الدورة ، فسيكون لعبد الناصر كأبرز هؤلاء الزعماء سطور طيبة يستحقها بلا ريب ، لانه حرص أن يكون كما قال الدكتور براساد رئيس جمهورية الهند « مكافحا شجاعا في سبيل السلام » .

وكما تلتقط عدسة التصوير ملامح الوجه ، التقطت عدسة التاريخ ملامح أعمال هذا البطل العظيم ، أعمال جمال عبد الناصر .



الصراع مع الرجعية

ان ((جمـال عبد الناصر)) هو الهتاف الغريزى الذى إتتسـابق اليه السنتنا فى كل مناسبة قومية وطنية ، ولكنه يصبح فى شهر يوليو من كل عام ، أكثر من هتاف تمليه الغريزة ، ان ((جمـال عبد الناصر)) يتحول اسمه فى شهر يوليو من كل عام وكأنه الاسم الخاص لكل عربى ، لأن شهر يوليو هو شهر جمال عبد الناصر ، الشهر الحار الذى استعار حـرارته من ايمـان جمال عبد الناصر ، واكتسب شهرته فى التـاريخ بالاحداث الجسام التى صنعها فيه جمال عبد الناصر ، ودخـل تاريخ العرب الحديث يوم اختاره جمال عبدالناصر ليوجه فيه ضرباتهالحاسمة لاعداء العرب .

لقد قاد جمال عبد الناصر شعبنا فقضى على الاستعمار وأخرجـه من بلادنا ، وحقق بذلك حلما كان الكثيرون يعتقدون انه سيظل حلما الى الابد .

وقبـل ذلك قضى جمـال عبد الناصر على النظام الملكى الفاسـد وحاشيته من رجال القصر ورجال الاحزاب وسماسرة السياسة .

ووجه عبد الناصر ضربته الى الاقطاع فأنقذ شعبنا من الاخطبوط الذى عاش مئات السنين يمتص دماءه .

وكان القضاء على تحكم رأس المال فى الحكم خطوة حيوية ، فخطاها عبد الناصر بحزم وقوة .

وتوج ذلك كله بانشـاء جيش وطنى ضـخم ، وصـناعة عـربية متطورة .

ومن خلال هذه الخطوات برزت الملامح الاولى للمجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى الذى دعا اليه جمال عبد الناصر .

ان الاشتراكية هى صيحة هذا العصر كله ، ومصير القرن العشرين الى الاشتراكية بصورها المختلفة تبعا لاختلافالبلدان والشعوب ، ولهذا كان لابد للامة العربية من ان تضطلع بتجربتها الاشتراكية الخاصة لكيلا تتخلف عن التطور العام للجنس البشرى فى مرحلته التاريخية الجديدة .

وفى الماضى القريب الذى سبق ثورة ٢٣ يوليو المجيـــدة ، كان السياسيون والزعماء العرب يتجاهلون الاشتراكية ، بل ويعتبرون مجرد النطق باسمها رجسا من عمل الشيطان .

وكان لابد للعـرب من جمال عبـد النـاصر ، يقودهم فى طـريق اشـتراكيتهم ، وهى اشتراكية عربية اللحم والدم لا صلة لها بغيرها من الاشتراكيات التى تنبع من تقاليد غير تقاليدنا ، وتنبت فوق أرض غير أرضنا .

ثم التفت عبدالناصرالى قضيةالديمقراطية ، وكان لابدللديمقراطية كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر أن «تتلازم مع الوحدة الوطنية ، لأن المشكلة التى واجهها هى : هل نكون أو لا نكون ؟ وليس هناك مجـــال للخلاف ، ثم ان وجود أى خلاف فى هذه المرحلة كان معناه ألا نكون على الاطلاق . خصوصا ان الظروف الخارجية المحيطة بنا تتحفز لاستغلال أى خلاف ، ولم يكن الاتحاد القومى فى الواقع الا أداة لتحقيق الديمقراطيـة المتلازمة مع الوحدة الوطنية .

ثم يجىء دور التعاون فى المجتمع الذى يقود عبـــد الناصر عملية بنائه ، فيقول عنه : « لم يكن من المعقول مثلا أن تكون الاشــتراكية هى مجرد تحويل الأجير الى مالك أرض ، وانما الاشـــتراكية الحقيقية تتأكد حين يواصل التعاون دوره بعد توزيع الارض على مالكها الجديد ، فيوفر له كل احتياجات الانتاج ، ويحميه من الاســتغلال ، وكذلك الحـال فى الصناعة » .

وهذا النظام الاجتماعى الذى يرسمه جمال عبـد الناصر ليس من اختراعه ، تماما كما قلنا عن «الوحدة» ، وكما قلنا عن الاتحاد القومى ، فان الوحدة هى منطق تاريخ العرب وجد تعبيرا عن نفسه على يد جمال عبد الناصر ، وكذلك الاتحاد القومى ، فانه منطق التاريخ العربى الجديد بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، منطق الديمقراطية المتلازمة مع الوحدة الوطنية ، كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر .

وليس المجتمع الاشــتراكى الديمقراطى التعاونى مختلفا عن كل ماسبق ، فالواقع أن «جمال عبد الناصر» لم يخترع هذا المجتمع ، وانما اخترعته طبيعة تطورنا الاجتماعى باعتبارنا عربا لنا تقـاليدنا وعقائدنا الخاصة ، كما أن لنا ظروفنا وامكانياتنا الخاصة .

ان المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى هو كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر : « التعبير الاصيل عن ظروفنا الخاصة » ، وهـــذا المجتمع هو أيضا كما يقول الرئيس : « ليس اختراعا نتفرد به ، وانما هو التطور الطبيعى الى مداه » .

وتجربة هذا المجتمع ـ بكل مؤسساته السـياسية والاجتمـاعية والاقتصادية سيكون لنجاحها دوى فى العالم كله ، وأهمية تاريخية أكبر بالنسبة لبلادنا وبالنسبة للامة العربية كلها ، بل وبالنســبة لشـعوب أفريقية وآسيا التى بدأت تتحرر من الاستعمار وتسير فى طريق التطور المستقل .

لقد قطعت دعوة عبد الناصر حتى الآن عشر سنوات ، ولم يحدث فى التاريخ أن كانت عشر سنوات فقط مليئة بالأعمال الثورية مفعمة بالتحولات الجذرية ، كما حدث خلال السنوات العشر التى اكتملت من حياة الثورة العربية الاشتراكية الديمقراطية بزعامة عبد الناصر .

وقبل ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ كانت « القومية العربية » خيالا غامضا يداعب بعض الكتاب والشعراء والسياسيين الجدد والقدامى فى البلاد العربية .

وفيما يختص بالقومية العربية فى مصر ، كان الاحتلال البريطانى ومن قبله الاحتلال العثمانى ، وعملاء البريطانيين والعثمانيين ، قدنجحوا الى حد كبير فى عزل مصر ، وهى قلب العالم العربى عن العالم العربى .

ومع أن الشعب المصرى كان يصف نفسه دائما بانه « ابن عرب » فان العرب فى البلاد الشقيقة لم يكن لهم اتصال عملى بمصر ، كانوا هم أيضا منعزلين ، وأوشك مفهوم العروبة أن يقتصر على قيام دولة تضم العراق وجزيرة العرب والشام فقط .

وكان رجال الثورة العربية خلال الحرب العالمية الاولى بزعامة الشريف حسين يتصورون مملكة العرب فى المستقبل ، بغير مصر ، وبغير فلسطين ولبنان ، ولم يخطر على بالهم قط شمالى افريقية العربى ، والسودان العربى .

لقد كانت فكرة «القومية العربية» مشوهة وناقصة وغير صحيحة . كانت فكرة زعماء تسيطر عليهم أفكار القرون الوسطى وتسيرهم أهواء الاستعمار العالمى .

ثم جاءت ثورة يوليو المجيدة ، فوضعت هذه الافكار الخاطئة عن القومية العربية ، فى متحف التاريخ البالى ، وأخرجت من واقع حياة الامة العربية المعاصرة ، ومن وقائع تاريخها العظيم الخالد ، عناصر الكفاح من اجل القومية العربية ، من المحيط الى الخليج .

وبطبيعة الحال ، لم يكن ممكنا أن يكافح عبد الناصر ورفاقه من أجل القومية العربية بمفهومها الصحيح ، بالاساليب التى ((كافح)) بها الشريف حسين وزمرته من أجل هذه القومية .

لقد كان «كفاح» الشريف حسين فرعا من التدابير الاستعمارية لتقسيم مناطق النفوذ فى العالم العربى ، فكانت ممالك الهاشميين تحت رعاية النفوذ البريطانى ، فى حين انضوت ممالك عربية أخرى تحت رعاية نفوذ استعمارى آخر .

اما كفاح عبد الناصر ، فقد استهدف قبل كل شيء قهر الاستعمار ومقاومة مناطق نفوذه ، وطرد هذا النفوذ خارج مصر ثم خارج العالم العربى .

وكان طرد الاستعمار ، هو الخطوة الاولى من أجل القومية العربية

بمفهومها الجديد الصحيح ، أما الخطوة الثانية فكانت بنـــاء المجتمع العربى الجديد الذى يكون بمثابة مضمون اجتماعى للقومية العربية .

وحول هاتين النقطتين « طرد الاستعمار واقامـة مجتمع عـربى جديد » ثار النزاع بين عبد الناصر من جهة وبين الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية من جهة أخرى .

ان الرجعيين مستعدون لاقامـة وحـــدة شكلية تجمع العروش والقصور وملوك المال والارض فى صعيد واحد باسم القومية العربيـــة وتحت أقدام هؤلاء الطغاة يجثو الملايين من أبناء الشعب العربى من محيطه الى خليجه ، باسم القومية العربية أيضا .

وكان العدوان الثلاثى فى ٢٩ من أكتوبر عام ١٩٥٦ ذروة الصراع حين ذاك بين الاتجاه الشعبى بقيادة جمال عبد الناصر من أجل قوميـــة عربية تقدمية ، وبين الاتجاه الاستعمارى الرجعى الذى يضم الاستعمار والصهيونية والرجعية العربية .

وعندما انهزم العدوان الاستعمارى الصهيونى كان معنى هزيمته أن الرجعية العربية أيضا قد انهزمت فى معركة من أكبر المعارك الحاسمة فى تاريخ النضال العربى .

وضعف مركز الاســتعمار والصهيونية فى الشرق العــــربى ، وضعف بالتبعية مركز الرجعية العربية ، وارتفع المد الثورى الشـــعبى فى البلاد العربية كلها ، وكان أقصى ارتفاعه فى سورية حيث فرض الشعب السورى ارادته فى فبراير عام ١٩٥٨ أى بعد خمسة عشر شهرا فقط من انتصار بور سعيد على العدوان ، وقامت الجمهورية العربية المتحدة من سورية ومصر كحقيقة تاريخية فى نضال الامة العربيـــة ترتبت على الحقيقة التى تمثلت فى انتصار مصر على العــدوان الثــلاثى بعنــاصره الاستعمارية والصهيونية والرجعية .

وهكذا لم يعد انتصار العرب على العدوان الثلاثى ، مجرد انتصار عسكرى وسياسى أحرزته دولة عربية واحدة ، بل تحول الى انتصـار قومى واسع ، شمل جميع الأقطار العربية وعبر عن نفسه بقيام دولة عربية موحدة لاول مرة فى التاريخ العربى الحديث .

ولكن هذا الانتصار العظيم البعيد المدى لم يكن فيه القضاء التام على الاستعمار والصهيونية والرجعية ، وكان واضحا أن هـــذا الثالوث المعادى للامة العربية يستجمع قواه للقيام بهجوم مضاد يسترد به بعض الاراضى التى فقدها ، ويتيح لنفسه فرصة جديدة للبقاء فترة أخــرى قبل أن تقضى عليه حتمية التاريخ فى النهاية .

وكان قيام الحركة الانفصالية الرجعية فى سورية ثمـرة الهجوم المضاد العنيف الذى تركزت فيه قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية الى أقصى حد ، وهاجمت النقطة التى كانت ماتزال تنوء ببقايا جيوب الرجعية وعملاء الاستعمار ، وأوكار أعداء القومية العربية .

ومع أن الهجوم الاستعماري الصهيوني الرجعي المضاد ، قد ربح جولة في سورية فان النصر النهائي لاتقرره معركة واحـــدة ولا تقع النكسة التامة بسبب خسارة واحدة في معركة بمفردها .

وهذه الحقائق يعرفها حتى الاستعمار والصهيونية والرجعية ، ولهذا يتحفظون بينهم وبين أنفسهم في ابداء الفرح والثقة بما حدث في سورية ، ويمدون أبصارهم في تخوف شديد الى رد الفعل ، وهم يعرفون أن بناء مجتمع عربي اشتراكي يضع مضمون القومية العربية على صعيد الحياة الاجتماعية ، سيكون أكبر لطمة يرد بها عرب الجمهورية العربية المتحدة الآن على المؤامرة الاستعمارية الرجعية في سورية .

لقد كانت أمنية الاستعمار والصهيونية والرجعيــة ، أن يكون رد عبد الناصر على ما حدث في سورية ، حملة عسكرية ، ودماء عربية تصبغ وجه الارض ، ولكن عبد الناصر رد عليهم بالمضي في بناء المجتمع العــربي الاشتراكي .

وهكذا اندفعت في مصر عجلة العمل الثوري بأقصى قوتها وسرعتها والثورة العربية في مضمونها الاجتماعي ، هي نقل حياة الانســان العربي من القرون الوسطى الى النصف الاخير من القرن العشرين .

وليست هذه النقلة مجرد التحول من عصر الى عصر ، من عصر البعير والحصان الى عصر الذرة والصواريخ ، وانما هي نقلة من الظروف الاجتماعية والفكرية والنفسية التي يصنعها الآن كل شعب نفض عن نفسه نير الاستعمار والاحتكار الرأسمالي .

لقد استنفدت الاساليب الرأسمالية أغراضها وأفلست تاريخيا ، وهي تتلمس الآن ، حتى في قلب العالم الرأسمالي مخرجا من أزماتهــا المتلاحقة .

وكما أن القومية العربية الثورية رفضت المضمون الاجتمــاعي الاقطاعي ، فانها رفضت المضمون الاجتماعي الراسمالي . أي أن القومية العربية الثورية رفضت الرجعية على طريقة القرون الوسطى ، كما رفضت الرجعية على طريقة الدول الاستعمارية التي مازالت تعيش .

ومن الجدير بالذكر هنا أن القومية العربية في تاريخها الطويل قد رفضت المضامين الاجتماعية البالية على مر العصور :

ففي صدر الاسلام ، رفضت القومية العربية ، من خــلال العقيدة الاسلامية كل مضمون عبودي ، وكانت العبودية هي المحتوى الاجتماعي السائد حين ذاك في مجتمعات كسرى الفارسي وقيصر الرومي ، ومجتمعات الهند والصين .

وفي العصور الوسطى حينما سادت النظم الاقطاعية ، كان واضحا تماما أنها مخالفة للتفكير العربي وكان السلاطين والاقطاعيون الذين حكموا البلاد العربية في العصــور الوســطى من جنســيات غير عربية ، وكانت أفكارهم التي فرضوها على الامة العربية والاسلامية افكارا مستوردة من

خارج الفكر العربي والوطن العربي ، وكانت في مجموعها مخالفة لتعاليم الدين الاسلامي .

وفي العصر الحديث ، عصر الراسمالية ، حاول الراسماليون العرب ، بالتحالف مع الاقطاعيين العرب اقامة كيان عربي رجعي ، يحقق مصالحهم ، ويدوس مصالح الشعب العربي ، ولكن هذا التحالف الرجعي لم يستطع ان يعيش في ربوع العرب الا مستظلا براية الاستعمار .

ولهذا السبب تمضي الثورة العربية بقيادة جمال عبد الناصر لتحقيق محتواها الاجتماعي التقدمي الذي يتعارض مع الاقطاع ، ومع الراسمالية ، فضلا عن تعارضه الحاسم مع الاستغلال الاستعماري .

والذي يجري اليوم في مجتمعنا بمصر ، انما هو تحقيق عملي للثورية المضمون الاجتماعي للقومية العربية .

والاشتراكية هي التعبير العملي عن هذا المضمون ، وهي أساس جميع التحولات الاجتماعية التي ستتم في بلادنا خلال السنين القادمة لتجعل كل شيء في البلاد ملكا خالصا لاصحاب البلاد ، وهم العمال والفلاحون والمثقفون والملاك الصغار والحرفيون وجميع من يعملون ويكسبون بعرقهم وكفاحهم ، لا باستغلال جهود الآخرين .

وقد كان مقررا من قبل أن تندفع جمهوريتنا في تنفيذ هذه القوانين الاشتراكية ، ثم وقعت الحركة الرجعية في سورية بقيادة أعداء الاشتراكية ، فظن أعداء القومية العربية أن قادة الثورة في القاهرة ، سيترددون في تنفيذ القوانين الثورية وبناء الاشتراكية في مصر .

ولكن الذي حدث هو العكس تماما : اندفعت عجلة الثورة بكل قوتها تبني الاشتراكية وتضع القوانين الثورية موضع التنفيذ ، بارادة الشعب كله بعماله وفلاحيه ومثقفيه وفئاته الواسعة الاخرى التي تجد مصلحتها كلها في بناء الاشتراكية .

وهذا دليل على أن « الاشتراكية » لم تكن صيحة دعائية في بلادنا ، بل كانت وستظل دائما مضمونا ثابتا لقوميتنا العربية .

والحماسة التي قابل بها شعبنا اندفاع عجلة البناء بكل قوتها تدل بوضوح على أن الشعب العربي في مصر يعي دوره الثوري تمام الوعي وانه يتمتع بيقظة ثورية ، وطاقة خلاقة ، وتصميم على البناء .. هذه المزايا الشعبية كلها سيضعها الشعب ، بل لقد وضعها بالفعل في خدمة البناء الاشتراكي بقيادة بطل الاشتراكية العربية جمال عبد الناصر .

واذا كان الشعب هو الباني الاكبر لصرح الاشتراكية ، فانه لا يستطيع أن يتمكن من بنائها بسرعة الا اذا تسلح بمنظماته الثورية الاشتراكية التي تضم القاعدة الثورية وقيادتها بمستوياتها كلها .

وفي خلال العمل الثوري للاشتراكية سيصادف الشعب بعض العوائق والصعاب ، بل وبعض المؤامرات التي تحاول تدمير عمله .

وما معنى نجاح بناء الاشتراكية فى بلادنا .

ان معناه ان بلادنا العزيزة ستثبت عمليا أن المضمون الاجتماعى للقومية العربية ، مضمون ثورى تقدمى ، مضمون اشتراكى ، وليس مضمونا رجعيا كما يريد له الرجعيون والاستعماريون .

ومعنى بناء الاشتراكية فى بلادنا أيضا أن يظهر لاول مرة فى التاريخ ، الانسان العربى الاشتراكى ، الانسان المتحرر السعيد الذى يتمتع بأقصى حاجاته من خيرات الحياة وعناءتها .

وشعبنا وهو يبنى الاشتراكية الآن ، يدرك مصاعب البناء ولكنه يعلم يقينا ان هذه المصاعب ، ستصبح فى ذمة التاريخ عندما يرتفع صرح الاشتراكية العربى شامخا ، امام انظار العالم كله .

اننا الآن نبنى الاشتراكية : أى اننا نبنى السعادة لانفسنا ولأولادنا والاجيال العربية القادمة .

وبقيادة جمال عبد الناصر التى قهرنا بها أعتى عدوان عسكرى وسياسى وقع بعد الحرب العالمية الثانية ، سنقهر كل عدوان جديد ، يأتينا من الاستعمار ، أو من الرجعية ، أو منهما معا .

وبقيادة جمال عبد الناصر ، سننتصر فى معركة بناء الاشتراكية من اجل حياة أفضل لكل ابناء هذا الشعب العظيم .

***

وبعد

فان الصـــــورة المصغرة للعملاق الكبير لا تعطى دائما كل ملامحه وخصائصه .

وهذا مايصدق بوجه خاص على الرئيس جمال عبد الناصر .

ففي عشر سنوات فقط أصبح عبد الناصر رمزا الامة العربية كلها وأصبح شخصية دولية ضخمة ، وأصبح رجل سلام مسموع الكلمة . وأصبح بطلا تحريريا تهتدى به شعوب آسيا وافريقية في نضـــالها التحررى المجيد .

وفى عشر سنوات فقط ، نفذ عبد الناصر برنامجه الداخلى الذى بدا بطرد الملك وانتهى بطرد الاحتلال العسكرى والاقتصادى وتحرير الشعب من الاقطاع وسيطرة راس المال ، ثم بدأ صفحة جديدة بالغة الأهمية ، هى صفحة المجتمع الديمقراطي الاشتراكى التعاوني الذى يحقق به عبد الناصر للجمهورية العربية المتحدة مجتمعا متكاملا متحررا من آفات المجتمعات القديمة المعادية للشعب وحقوقه وكرامته وتطوره .

وتجربة هـذا المجتمع بكل مؤسساته السياسية فى العالم كله ، له أهمية تاريخية اكبر بالنسبة لبلادنا وبالنسبة لشعوب افريقية وآسيا التى بدأت تتحرر من الاستعمار وتسير فى طريق التطور المستقل .

وهذه الصفحات التى مضت لا تستطيع أن تعطى أكثر من صـورة مصغرة جدا للعملاق عبد الناصر ، والصورة المصـغرة كما قلت لاتعطى فكرة كاملة عن حقيقة العملاق ، وهذا الحديث عن الرئيس ليس سوى حديث عام ، يعطى فكرة عامة ، أما عبـد الناصر العمـلاق الذى صنع معجزات ضخمة مذهلة فدعنا نقل لك اننا لانستطيع أن نحـدثك عنـه حديثا وافيا ، ولا نستطيع أن نعطيك عنه فكرة كاملة .

ان المرء ينظر الى الشمس بجزء من عينيه ، ولا يستطيع ان يحدق فيها بملء عينيه ، ونحن العرب نعتقد بدون محاباة للرجـل الذى نحبه ان شمسه تبهر كل عين ، وان استيعاب ضوئها كله فوق طاقة العيون .

ولكن التاريخ فقط يستطيع أن يفتح عينيه جيدا ، ويتأمل « جمال عبد الناصر » ويرى ماصنعه لشعبه فى عشر سنوات مرت كأنهـا عشرة ايام .

وحسبك من كل ماصنعه عبد الناصر هذا المجتمع الجـديد الذى نعيش فيه ، المجتمع الذى جعلنا نعيش لاول مرة منـذ عـدة آلاف من السنين فى ظل الكفاية ، والعدل ، والمساواة .

فهرس

الموضوع	صفحة

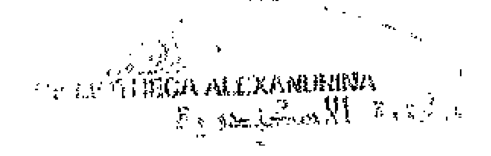
هيئة قناة السويس

(مناقصة عامة بين مقاولى القطاع العام)

تطرح هيئة قناة السويس مناقصة عامة عملية انشاء عمارة سكنية لموظفى الهيئة ببور سعيد وتطلب الشروط والرسومات بالحضور الى مقر الهيئة بالاسماعيلية (التخطيط والابحاث) وذلك نظير دفع مبلغ خمسة عشر جنيها •

وتقدم العطاءات باسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس (التخطيط والأبحاث) فى ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الاثنين ٢٩ ابريل ١٩٦٣ مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ثلاثة آلاف جنيه •

ولن يلتفت الى أى عطاء يقدم بعد لهذا الموعد أو غير مصحوب بالتأمين الابتدائى المطلوب •



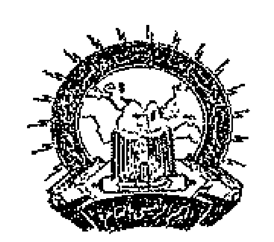
هيئة قناة السويس

مناقصة عامة بين مقاولى القطاع العام والخاص

تطرح هيئة قناة السويس مناقصه عامة عملية انشاء عمارة سكنية لعمال الهيئة ببور توفيق وتطلب الشروط والرسومات بالحضور الى مقر الهيئة بالاسماعيلية (لتخطيط والأبحاث وذلك نظير دفع مبلغ عشرة جنيهات ٠

وتقدم العطاءات باسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس (التخطيط والأبحاث) فى ميعاد أقصاه الساعة الثانية عشرة من ظهر يوم الأحد ٢٨ ابريل ١٩٦٣ مصحوبة بتأمين ابتدائى قدره ألف جنيه ٠

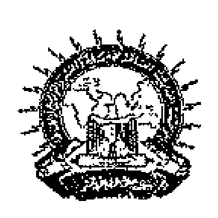
ولن يلتفت الى أى عطاء يقدم بعد هذا الموعد أو غير مصحوب بالتأمين الابتدائى المطلوب ٠



مطابع الدار القومية

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عتيبة - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤

العدد ٢٣١ الثمن ٩ قروش